رسائلُ إلى الحُبِّ

عمر جوبا

عصير الكتب للنشر الإلكتروني

كتاب: رسائل إلى الحبّ

المؤلف : عمر جوبا

تنسيق: سمر محمد

تصميم الغلاف : أحمد صلاح زردق

- عمر جوبا -

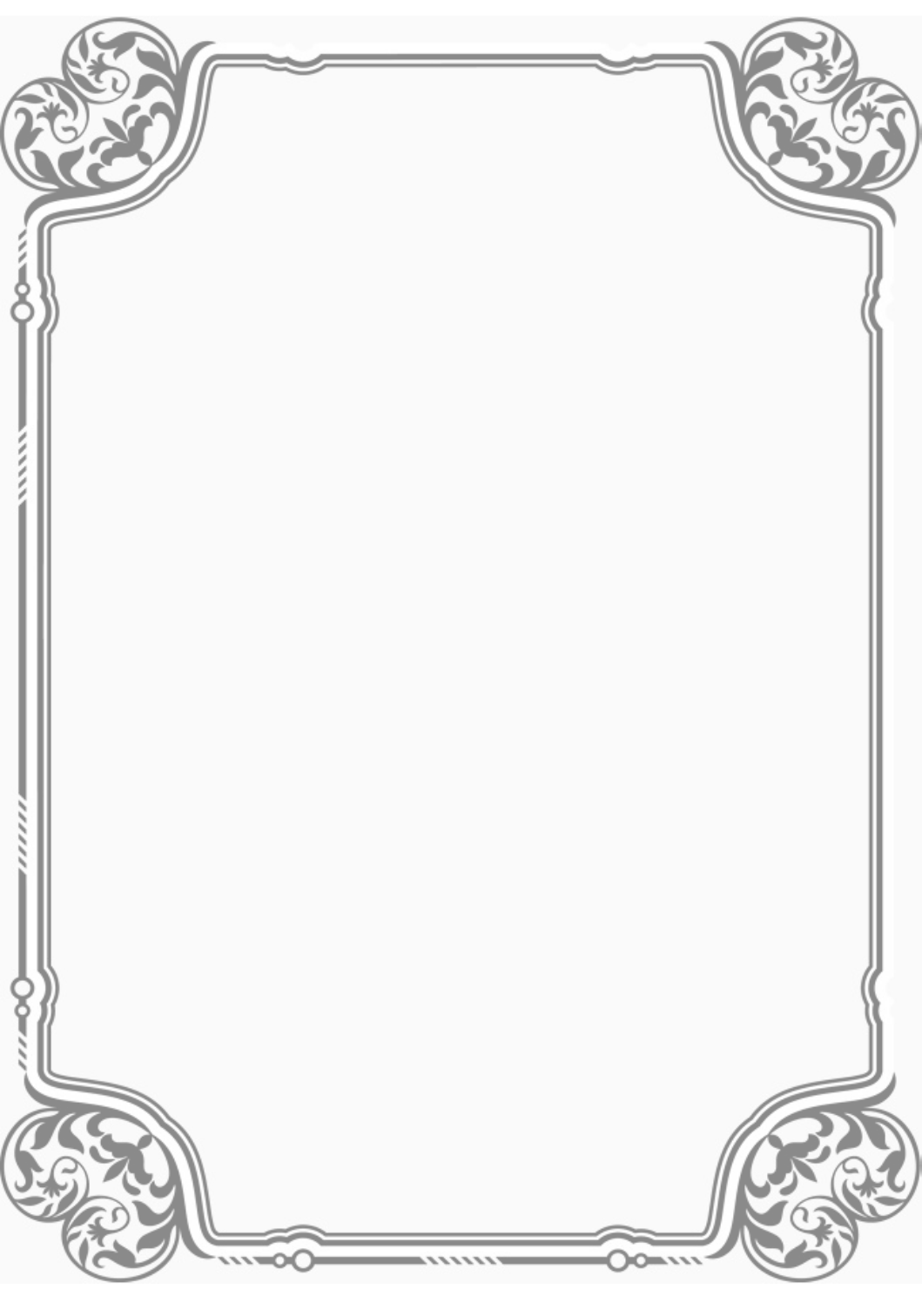

إهداء

إلى التاريخِ الذي اختارني كي يُفْرغَ ما بجعبته داخل قلبي، وتلك الحروف الخمسة التي صنعت مني رجلًا لم أظن أني سأكونه يومًا، فأما الأول فأعتذر لكَ إن لبستُ رداءك وحكيتُ بلسانك، وأما الثاني فيعلم الله أنَّي أحبك.

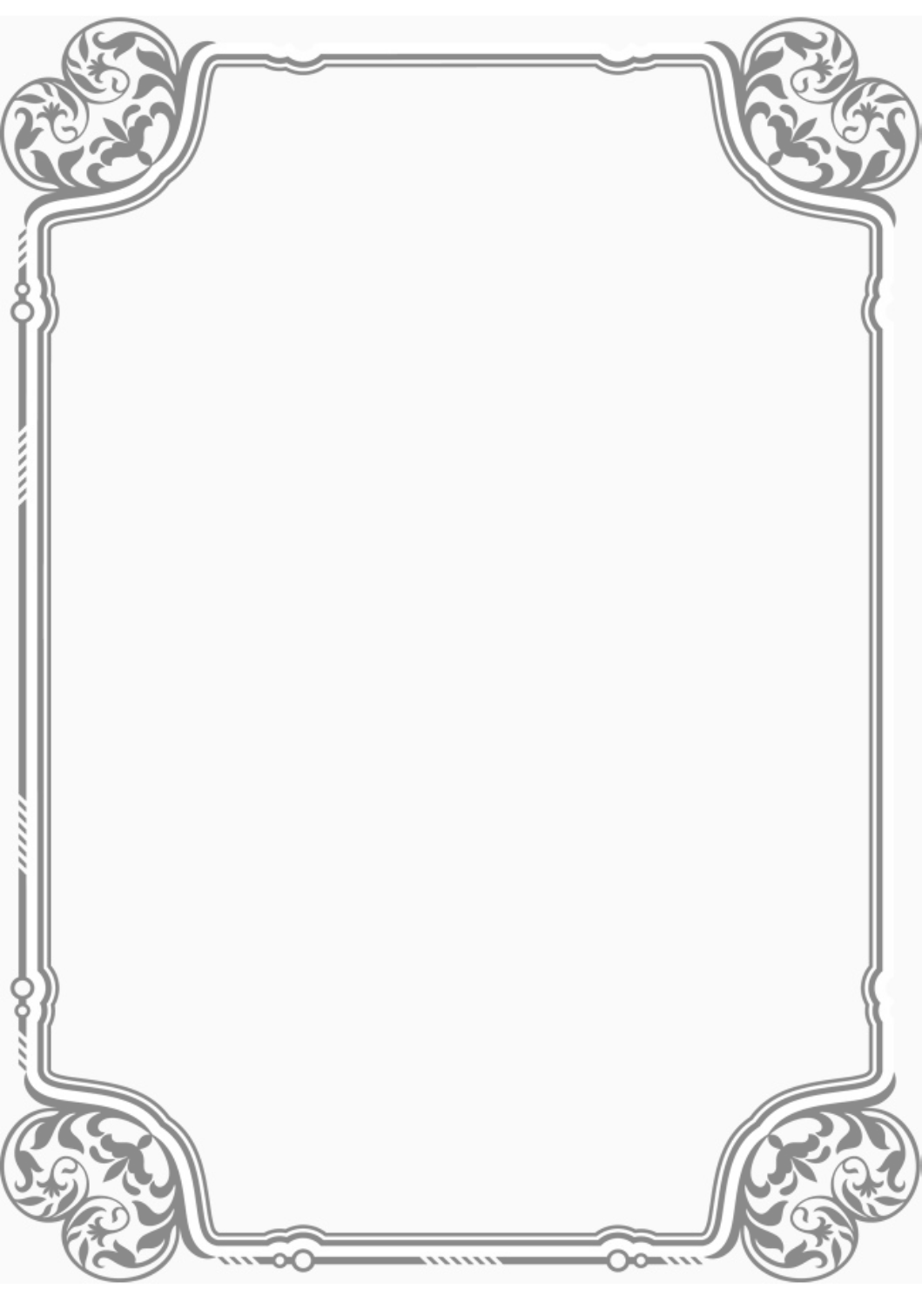

شكـــــر

كلّ أولئك الذين أخبرتُهم بفكرةٍ ما فتهللوا فرحين لأنهم يعرفون أنّي أستطيع، حتى الذين غابوا وهم يحبّون ما تخطه يداي البسيطتان أشكرهم جدًا.

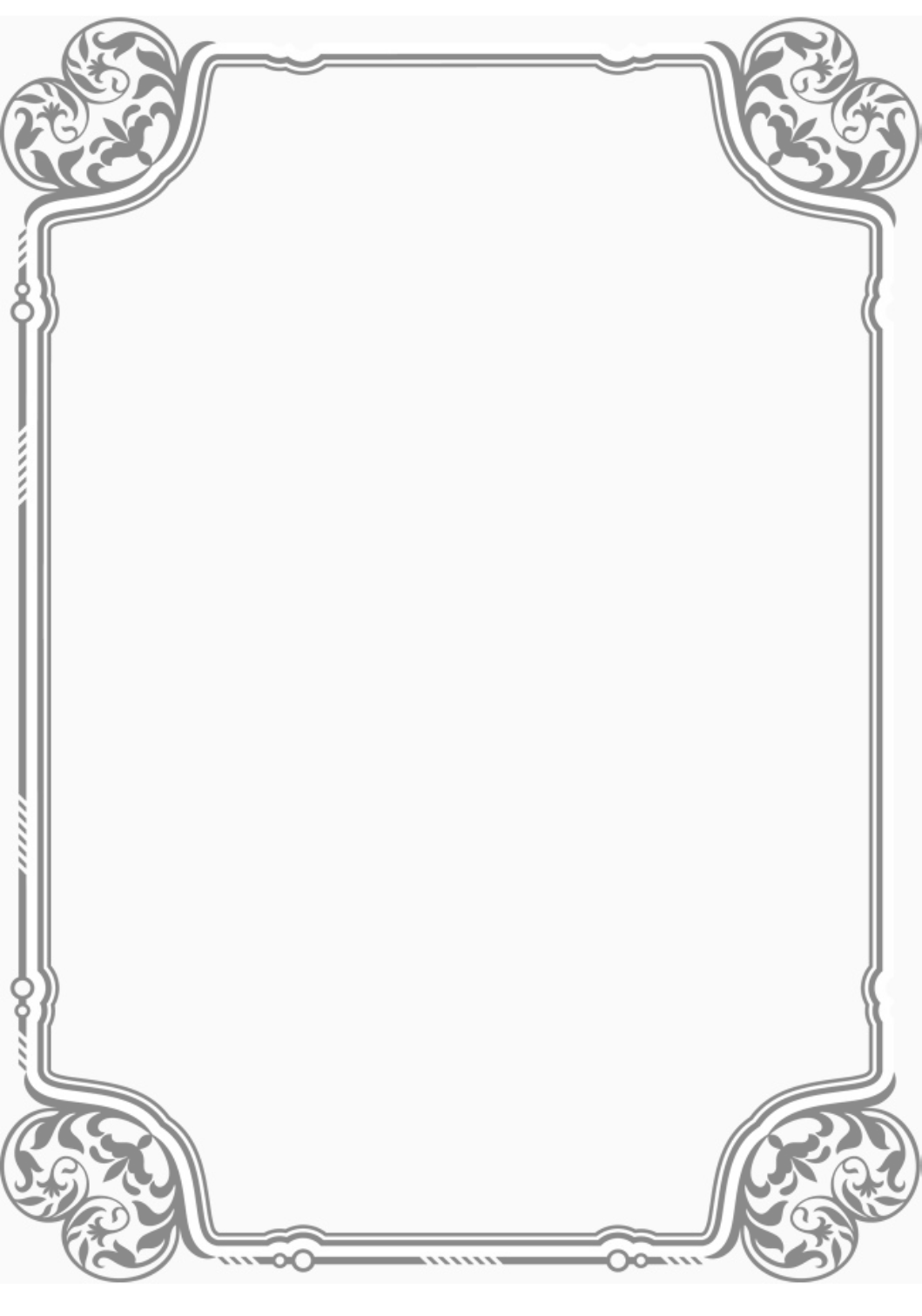

« هذه رسائل صادقة جدًا، كُتبت في أيام بسيطة عاصفة، فيها من كلَّ شيءٍ حكاية بسيطة، ربما لاً تعجبكَ فكرتها كثيراً، ربما ترى أنّها مكررة، ربما لا تكون بالجودة التي تتوقعها، لكنَّها صادقة جدًا وهذا يكفي»

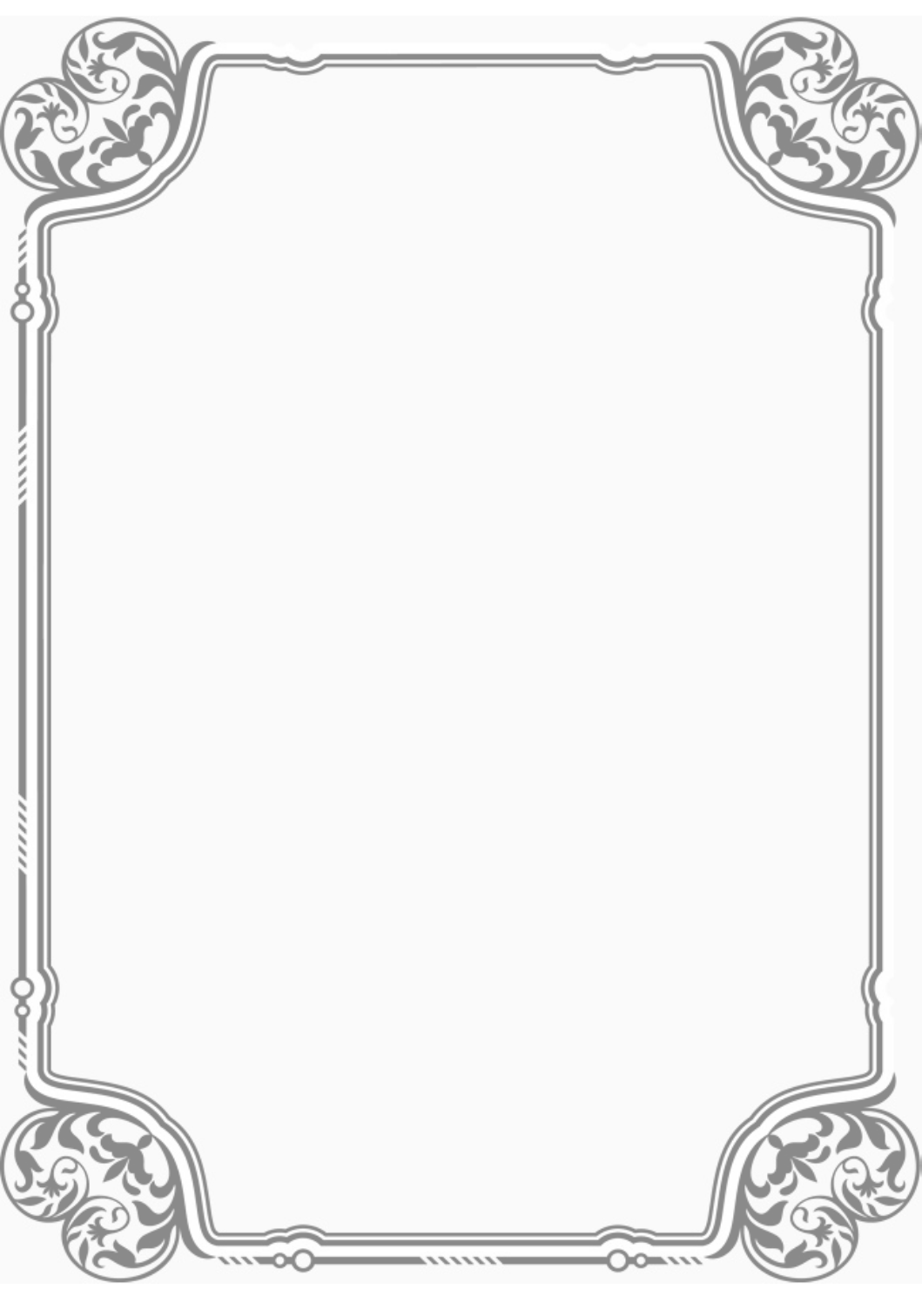

يا سروي

صباح الخير يا سروري.

كيف حال بسمتكِ التي فتنتِ بها الجميعَ وسقطتُ بها أنا؟ أنا أحبكِ. في الليلة الماضية كنت في صحراء غريبة عنّا، كانت باردة قاسية لكن لبرودها وقسوتها نهاية حين يخرج النجم الذي يشبه وجنتيكِ، حكينا عنكِ طويلًا جدًا حتى سأم الليل ورحل، واكتفى النجم وأفل، وبقيت أنا وصوتكِ معي وذكراكِ «أحبكِ» صادقة.

تذكرين حين بقينا ساهرين حتى نسينا العالمُ؟ حينها قلت لي أن حياتينا لا يمكن إلا أن تكون حربًا، حين أردت حذف الراء منها رأيتُ منكِ قسوة لم أعهدها في عينيكِ قط، وحين

عاهدتكِ أن يكون الحب حربًا رأيتُ منك جمالًا لم أعهده قط! ألا يمكن يا غاليتي أن نترك الحرب جانبًا ونعيش حبًا يليق بنا؟

أعلم أنكِ تحبينني قويًا، لكن أعتى الحروب وأقسى القتال لا نفتأ نذكر في غمارهما حبيباتنا حتى نهلك، ألا أستحق بعد كل غياب غبناه ضمة تزيل ما علق في الروح من وجع؟

رفيقة الروح إن القتال الذي لم ينتصر فيه غيري انتهى، وفزت بعينيكِ وحدي، لكن ما قيمة هذا كله إن لم تحتويني في صدرك حتى النهاية؟ أنا تائه مسكين، وقوي منتصر، وأحبكِ.

أنا أحبك والسلام.

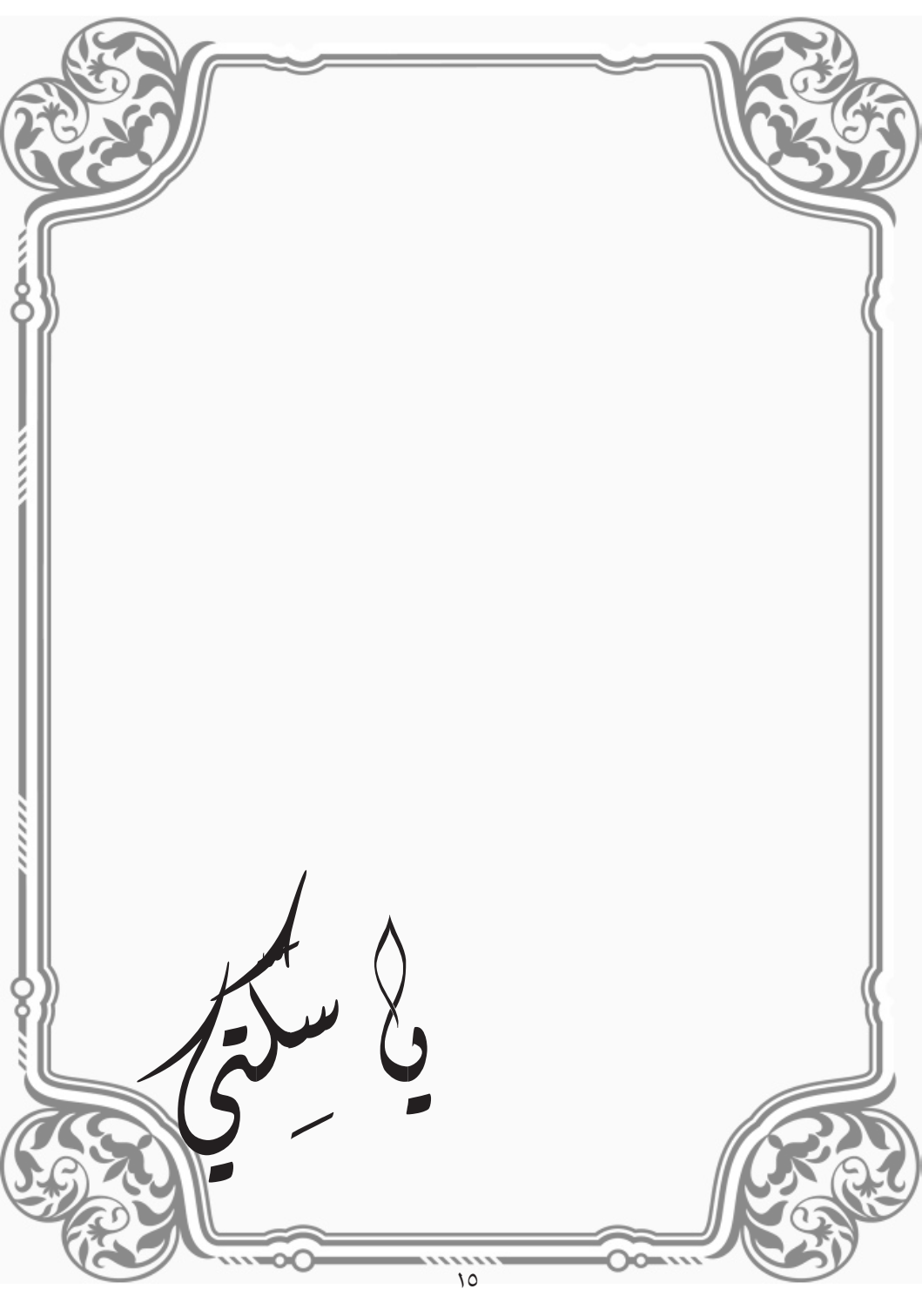
يا سِكّتي

صباحُ الخيرِ يا سِكَّتي.

كيف حالكِ؟ أنا لا أعلم عن الحبِّ شيئًا إلا أنَّه لكِ، ولا أعلم عن العشق شيئًا إلا أنه فيكِ، ولم أتعلم عن الكتابةِ والحكاياتِ إلا لأنَّ فيها من قلبكِ وتشبه حياتَكِ وتهدئ روع روحكِ. الحُبُّ بسيط جدًا، خمسة أحرفٍ لا غير، أعلمُ أنّكِ الآن تستغربين، لكنهم خمسة أحرفٍ ولو أقسم كل الأولين أنهم اثنين فقط.

قال لنا شيخٌ قديم أن العجب في هذه الدنيا أن يكون إنسانٌ واحد هو الألف واللام والباء والحاء والناس جميعًا ملقون كنقطةٍ صغيرةٍ تحت حرف الباء، لكنه نسيَ أن يقول أن هذا الحب هو أنتِ.

يا صغيرتي دعيني أحكي لكِ أسرارًا كنا نعلمها للصغار في الأرض السمراء البعيدة، إن لهذه الدنيا حكاياتٍ لا نعرف آخرها حتى نفقه أولها، وإن أكبر هذه الحكايات وأجملها هو الحب، وأول هذا الحب وأجمله هو الغرق، وأول هذا الغرق وأجمله هو أنتِ.

يا حلوتي ما قيمة هذه الدنيا إن لم يجرِ حبُّكِ منَّا مجرى الدم؟ وما قيمة أولئك الذين يقولون أن النَّاس في الحب لا بد أن يكونوا فرادى؟ فما قيمة الحبَّ إن لم أقل لكِ أنَّكِ أنا؟

يا فتاة رجلكِ المدلل إن الحبّ سقط مرة واحدة في الأرض ثم غاب في الفيافي والجبال، وكل ما ترين إنما هو نتفٌ من حبٍ وغيض من فيض الشوق ليس إلا، هذا الحب يوم أن سقط كنت أنا هناك، في زمن بعيد قبل أن يُخلق

القلبُ ذاته سقط ثم أحرقني بناره، ولمّا شعرتُ أن لناره حلاوة خبأته في صدري لأني لم أجد له مكانًا أفضل، حينها خُلقت القلوب، حينها غنّى الشعراء وحكى الشيوخ وكتبَ الأدباء، ولم يعلم واحد منهم أنه مخبأ في صدري وما يكتبونه ويحكونه وينشدونه ليس إلا رائحته.

يا رائحة الورد الجوريّ إننا ذات يومٍ حكينا للجد الأكبر حكاياتنا، كان هادئًا مبتسمًا حتى حكيتُ أنا، قام ووضع يده على صدري وقال أن ها هنا يسكن الحبُّ، قلت هل يغيب يا جدي؟ قال لا، لكنه سيقسو عليك، قلتُ لمَ ابتسم وغاب خلف التلة العالية.

تعالي ودعكِ من كل الحب وكل الحكايات وكل من حولكِ وما حولكِ أعلّمكِ كيف يدق القلبَ لمرةٍ واحدةٍ ثم تتساوى كل رجفاته، وأعلّمكِ كيف يرتجف الصوت حين

يقول «أحبكِ» الأولى ثم تتساوى كل نبراته، وأعلّمكِ كيف ترتعش اليد عند اللمسةِ الأولى ثم تتساوى كل حركاتها.

يا مسكينة الروح عظيمة القسوة إني أحبكِ.
لكِ مني حبٌ وسلامٌ ووعدٌ بالقتال حتى نموت.

يا سكوني

صباح الخير يا سكوني.

كيف الحال؟ أنا أحبكِ. أفتقد الكتابة التي تكتبينها لي جدًا، أفتقد تلك الحروف التي تصنعها أناملك بحبٍ وشجنٍ ثم تأتين لي بها إلي عالمة أني أحبها، كل تلك الكلمات التي رأيناها معًا مناسبة لروحينا من بين مئات الآلاف من كلمات الغزل افتقدتها.

سلامٌ على من رأت نفسها حواء حقيقية فلم ترض إلا أن تكون كاملة، سلامٌ على صاحبة الدمع الصادق الذي لم تهزفي صراخات الرجال في الحرب الأخيرة مثلما زلزلتني، سلام على صديقة السحائب الصادقة التي رأت الأرض

ملاذًا كاذبًا فحلقت بعيدًا، سلام على روحٍ يتيمة لم تخلق غير مرة واحدة، سلام على لحن الكون الأعظم ونور النجم الأبعد وقبلة القمر الحزين، سلام على صوت البلابل وألوان الورد ونغمات المطر في وجنتيك، سلام على الحياة التي تحل في كل قلبٍ ميتٍ إن نزلت عليه قطراتك، سلام على الحرب التي يخوضها الرجال لأجلك ولا يفوز بها إلا أنا، سلام على أدهم عشقناه سويًا، سلام على الحب.

يا صغيرتي إن الحبّ لم يكتب إلا لنا، كل البشر الذين حاولوا أن يصيغوا نغمة الحب جاءت ناقصة، لم يكن فيهن لحظكِ ولا ثغركِ ولا دفئكِ، ولم يكن فيهم حربي ولا قوتي ولا تمسكي. يا غاليتي إن الحب حكاية نساها الجد فحكيتها أنا، وغربة تركها الصديق فعشتها أنا، ووجع أصاب القلب فاحتملته وحدي،

يا حلوتي إن الحب كان نجمًا تائهًا فاهتدى بصوتك وحكايتي، كان منطفئًا فاشتعل ببسمتكِ وقتالي.

الحياة قاسية أستطيع أن أحاربها ألف مرة ولا أهزم، وأنتزع منها ألف نصر ولا أسأم، وأحتمل منها ألف ضربة ولا أسقط، لكن ما قيمة هذا كله إن لم تكوني هنا، أختبئ بين كل حرب وحرب بين أضلعك؟ وأحتمي بين كل ضربة وضربة بحضنكِ؟ وأغيب بين كل نصر ونصر في صدرك؟

أنا أحبكِ، لك مني حب وقبلات وسلام حتى النهاية.

يا سكوتي

صباحُ الخير يا سكوتي.

كيف حالكِ في هذا الصباح؟ أنا أحبك وأنتِ تعلمين، في هذا الصباح لسعةُ بردٍ خفيفةٌ تذكرني بكِ لا أعرف لمَ، عرفتُكِ للمرة الأولى في الشتاء، أتذكرين؟ تلك المدينة البعيدة التي لم نذهب لها معًا سوى مرتين، حين رأيتُكِ للمرة الأولى، وحين رأيتُ الطفلة بداخلك للمرة الأولى أيضًا.

سأخبرك سرًا، أنا أحكي لطيفكِ كلَّ يوم عنكِ حكايةً لا يعرفها عن نفسه، ربما يبدو هذا جنونيًا لكنه حقيقي بشكلٍ مثيرٍ للدهشة، الليلة حكيتُ له حكايتنا في شوارع المدينة التي نحبها معًا، والتي اتفقنا أن تكون مأوانا إلى الأبد.

لا أدري لمَ ترتبط ذكراكِ عندي بالشتاء! ربما لأن اللقاءَ الأولى كان في شتاءٍ قارص، واللمسة الأولى كانت في شتاءٍ دافئ، والحبَّ الأول كان في شتاءٍ باسم، والوعد الأول والرسالة الأولى والبسمة الأولى والتسكع الأول في المدينة القديمة المنهكة، والزيارة الأولى لشارعٍ ذي ألف حبٍ سبق. ألا تعلمين أنّي أكره الشتاء جدًا، لمَ كانت كل ذكرياتنا فيه إذًا؟ لا أدري، لكن ربما لأننا حين تكون معًا تغيب كل الفوارق الأخرى، ننسى الزمان والمكان والقسوة ويبقى الحب فقط صادقًا مشتعلًا كما هو.

أنا تائه أليس كذلك؟ بلى، أنا أيضًا أشعر بنفسي تائهًا ناسيًا كيف أنظم الحروفَ بجوار بعضها لأتغزل بكِ وأكتبَ إليكِ وأحكيَ عنكِ وأخبرهم بحكايتكِ وأهدهد قلبي المتعب بذكراكِ، لكنّي يا حبيبةَ الروحِ وحبةَ المطر الغائبة وصديقة الدمع ومسكينةَ الفؤاد قمتُ ذات ليلٍ يشبه جماله جمال عينيكِ إلا قليلًا

فناجيت القمرَ وحدثتُ الكواكب ورويت للنجوم حكاياتنا، فلما جف حلقي ونسيتُ الكلام رأيتُكِ تتهادين من بعيدٍ على الرمال الناعمة فنسيتُ كل شيءٍ وصرتُ كالعاشق الأول.

للعاشقِ الأولِ حكايةٌ لا تنسى، وعدتُكِ أن أحكيها لكِ يوم أضمكِ الضمة الأولى، سوف نحكي سويًا، ونكتب الشعر معًا، ونقرأ لبعضنا ثم نضحك بصوتٍ يعانق من جماله ثريا الكون البعيد، سوف تخبركِ النجوم حينها كل الحكايات التي حكيتها عنكِ، وأنّي فيها كنت أحبكِ وأرسل لكِ قُبلة وروحًا وحبًا وسلامًا.

يا سكينتي

صباح الخير يا سَكِينتي

كيف حال وجنتيكِ المتوردتين خجلًا؟ أنا أحبكِ، أعرف أن بدايات الرسائل تقليدية جدًا لكنني لستُ أديبًا كما تعلمين، أنا محب مسكين ليس إلا، ومحارب طويل النفس جدًا. من ليلتين حلمتُ بكِ، لا تقلقي سأحفظ سرنا الصغير، لا أحلام تخصنا تُحكى على الملأ، لكني أريد أن أخبر العالم كله أني فعلت وأنك كنتِ هنا.

الفراغات بين أضلعي باردة جدًا وخاوية، ولا شيء يدفئها مثل أضلعك، في ضمةٍ واحدةٍ تبقى للأبد، ولا نفيق منها حتى يفرق بيننا الموت، أعلم أن هذا كلامٌ حالم، لكن البرد الذي أشعر به ليس حلمًا.

أتعلمين؟ حين أقرأ غزل الشاعر لحبيبته وهو يرجوها أن تحبه بعيدًا عن المدينة التي شبعت من الموت أبتسم تلك الابتسامة التي تعشقينها، لمَ يريدها أن تبتعد عن مدينته؟ أليس من الأجدر بكل حبيب أن يقاتل ويواجه الموت مخبئًا حبيبته خلفه؟ تعالي أحبيني وسط الموت والقهر والهروب، لندع العالم يشتعل فلا يعنينا منه سوانا، ولندع الموتُ يجوب شوارع المدينة وتعالي نقاتل نحن أطرافها.

أنتِ لي كل شيء، أنتِ حبيبة، صديقة، أم، طفلة، حرب، حب، ثورة، خلاف، حلم، حكاية، هدوء الجد، وصخب القتال، وسكينة النهر، واشتعال النيران. أنت تنهيدة الحرب الأخيرة وحكاية الجد الناقصة وضفيرتا الجدة الشائبتان وضحكة المسكين المنجبر ومناجاة الطفل الصغير وقلب المحب القتيل وقصيدة الشاعر اليتيمة وحبيبة قيس وفتاة عمر وقتيلة المتنبي.

يا حبيبة الفؤاد وقاتلة الحب وقتيلة التفكير وزفرة الألم ونيران الشوق، إني أحبك. كم كتبت لكِ؟ لا أعلم، لكن ما أكتبه يخص الجميع إلا أنا وأنتِ بشكلٍ ما، رسائلي تلك يقرؤها الجميع ويطلقون تنهيدات الإعجاب، أنا أحترق حتى الفناء وأنتِ لا تقرأين!

لكِ مني حبٌ وقبلة ووعد بالقتال حتى ضياع الروح أو سقوط القلب أو النهاية. أحبكِ والسلام.

يا سكني

صباحُ الخير يا سَكني.

كيف حال عينيكِ الواسعتين؟ أنا أحبكِ لأني لا أملك شيئًا أجمل من الحب أقدمه لكِ، الحياة تعطينا حكاياتٍ ربما لا نستطيع أن نحكيها كلها، ربما فقط نحكي ما أتاح لنا القلبُ أن نحكيه، ونخبئ ما تبقى نبوح به لقلبينا فقط يوم أن تتشابك أضلعنا.

أخبرتكِ قبلًا أني لا أعرف كيف هي ابتسامتكِ؟ ربما أكون قاسيًا لكنها الحقيقة، حين تبتسمين لا أنظر سوى لعينيكِ فقط، الجلال والجمال والحب والغرق والسجن والشعر والخوف فيهما. سقطت صريعهما من اللقاء الأول في مكانٍ بعيدٍ عني وعنكِ، فلما أفقتُ من الصدمة الأولى علمتُ أني ضللتُ في صحرائك.

في هدأة من الليل تسللت إلى قبرٍ صغيرٍ يحمل جسدًا مغيبًا، جلست في سكون من الليل، وصمت من القبور، وصفير رياح مرعب، أتسلى بالتغزل في عينيكِ، وأحكي للجسد الغائب كيف رأيتكِ، كيف ضممتكِ، كيف جننتِ بكِ وأثرت جنونكِ أول مرة.

سأخبرك ثمانية أسرار حجبتها عنكِ منذ «أحبكِ» الأولى، السر الأول أن في عينيكِ قسوة لا أحبها، والثاني أن في قلبكِ هشاشة أخشى عليكِ منها، والثالث أن صوتكِ يحكي لكِ ماضيًا قاسيًا، والرابع أن شفتيكِ يحملان كل الحب في العالم، والخامس أني عشقت المدينة التي تسكنين لأنها لكِ، والسادس أنكِ من علمتني الحب فصرت أستاذته وتلميذته معًا، والسابع أن لقلبكِ صدى في قلبي، والثامن أني أحبك.

يا سريعة الغضب، خفيفةَ الروح، حبةَ الحب، مسكينة الفؤاد، بسيطة التعقيد، يا صغيرة القلب، عميقة العينين، إني أحبكِ.

ترى هل للقلب حب يختلف عن حب العقل؟ لا أدري لكنني من أولئك الذين يرون أن العقل يسكن القلب لا يسكن الرأس فإن كان عقلي في قلبي فلمَ أبالي أيهما أحَبّكِ أولًا؟ كنت أتهيب لقاءنا الأول، ثم سعيتُ للثاني، وسكنتُ في الثالث، ولبيتكِ في الرابع، ولا أدري هل كان لقاؤنا الأخير هو تمام الألف الأولى في المليون الأول أم أكثر من ذلك قليلًا.

سقطت كلماتكِ على الرصيف القديمِ كغيثٍ نزل على أرضٍ مشتاقة، فلما احتضنت الأرض غيث السماء أزهرت، ولما سقط الغيث مرة أخرى تفتحت، فهلا سقط الغيث في اليوم ألف مرة ولكِ عليّ ألا تموت الأزهار؟

أنا مشتاق متكبر، محب مُعْرِض، عاشق مخطئ، أب كطفلٍ، طفل كفارس حرب، ولن يفهم هذا التعقيد قلب إلا قلب أنثى خائفة، وصديقة عاشقة، وحبيبة مسكينة، أنا أحبكِ والسلام.

يا سالكتي

صباحُ الخير يا ساكنتي.

كيف حال المضغة الصغيرة المحبوسة خلف أضلعكِ؟ أنا أحبكِ كما تعلمين. في الليلة الماضية كنتَ أسعى خلف القمر لنحكي كما اعتدنا أن نفعل، لكنه كان غائبًا لم يظهر، وسهرتُ الليلة حتى الصباح أنتظر. كم مرة أخبرتُكِ أنكِ تشبهين القمر؟ فعلتها كثيرًا، لكن هذه مرة تختلف، أنت تشبهين أشعة القمر الفضية التي تنفذ إلى الروح وتملؤها.

أنتِ تشبهين الحربَ، قاسية لكن بها مسحة من جمال غريب، صرعاها ينادَون أبطالًا، وكل منّا يحسب نفسه منتصرًا فيها لا محالة، ولم يسقط فيكِ أحدٌ كما سقطت أنا. أنتِ تشبهين

الحياة، في تقلبك وعطائك وهروبك، لا أعرف أيكما أتى أولًا، أنتِ أتيتِ فأضحتْ الحياة لازمة بعدكِ، أم أن الحياة لا تُسمى حياة وأنتِ غائبة؟

يا مسكينة الفؤاد، القلب إنْ هُدمتْ أسواره مرة فلا سبيل لإقامتها ثانية، وإن سقط القلب في حبائل الحب فلا طريقة لتخليصه أبدًا.

يا حبة الحُبَّ، سقطتُ في حبّكِ فلا سبيل للخلاص أو النسيان أو الفراق أو التخلي، الحبُّ عذاب لا يسكن إلا بالوصل، وأنتِ وصلٌ لا يهدأ القلب إلا بكِ.

يا ذات العينين الجميلتين، إن الأوائل أنهكوا اللغة في وصف حبيباتهم، وأكل شعرهم وغزلهم الحروفَ ولم يتبقَ لنا كثير منها، لكني أعطيكِ كل ما أملك وأعرف وأجيد.

يا حلوتي، يقولون أن الشوق الذي يسكن باللقاء لا يعول عليه فما بالك لو كان الشوق مشتعلًا واللقاء محرمًا؟

يا أيها الحب إن السكينة لا تعرف قلوب المحبين، قلوبنا مضطربة أبدًا حتى تسكن حبيباتنا في أضلعنا وتتنفس، وعندها يسكن القلب وتشتعل الروح.

لا أعرف كيف أكتب، ولا أنا أديبٌ ألمعي يزاحم القدامى العباقرة، ولست شاعرًا يصدح فتصغي البلابل ويتفتح الورد وتسقط قلوب المحبين، أنا أقوى من هؤلاء وأبلغ لأني صادق، ولأني أعلم أنّ كلامي قد تقع عيناكِ عليه يومًا، فلكِ مني سلام، وحبٌ، ووعد بالقتال حتى النهاية.

أحبكِ والسلام.

يا مسكنتي

صباح الخير يا مُسَكّنتي

أحبكِ، كيف حالكِ يا حبّة القلب؟ لعل ما في النفس يكون قد هدأ ولو قليلًا. الحياة والموت رفيقان والخير والشر رفيقان والحب والحرب والهجر رفقاء أيضًا، لكنني أنا وأنتِ لسنا كذلك.

في ليل التمِّ يحكي القمر أسراره القديمة لي، يقول أنّه كان شاهدًا ليلة ميلادكِ، يحكي لي عن رجفته من ذلك الجمال الذي غاب عن الأرض طويلًا طويلًا، ثم وُجِدَ فجأة في وجهكِ، ثم يخبرني، يخبرني أنكِ قاسية الحبّ، عظيمة العشق، هادئة النفس، مسكينة الملامح، حبة القلب، روح الحب، رسالة منسية من عشق،

حكاية قديمة من هيام، فارسة ساقطة من حربٍ، أم ثكلى إثر غارة، صديقة شفيقة كأم، أخت مسكينة كطفل، حبيبة هشة كقلب مؤمن.

حين أستمع للقمر أغيب في عوالم بعيدة عنه، يحكي ويحكي ثم يسكت فأنتبه، يقول لي أني معذور، من ذا يصارع لحظها وينتصر؟ أنتفض، أنا أصارع وأنتصر، أنا قوي، فيقول لي أني قوي إلا أمام لحظكِ، محارب إلا أمام عينيكِ، مفوه إلا أمام «أحبكِ» منكِ، طفل إلا حين يصيبكِ خوف، خائف من كل شيءٍ إلا منكِ.

أبتسم له ثم أغيب، في الحكايات العظيمة لا ينتصر الحبّ أبدًا، ينتصر الغياب، ولكن متى كنا أنا وأنتِ عاديينْ؟ متى سمحنا لأنفسنا أن نسير خلف الركب دون أن تحيد خطانا عنه وتتحد معًا؟

الحب سيئ إلا لكِ، قميء إلا بكِ، مخيف إلا منكِ، معقد إلا فيكِ، قاسٍ إلا لأجلكِ، بعيد إلا إليكِ. الشعر مهيب إلا لحبكِ، صعب إلا لوصفكِ، عزيز إلا للتغزل بكِ، مرعب إلا حين يخرج من ثناياكِ.

للجدَّ حبٌ صادق، للصديقِ الغائبِ حب صامت، للقريبين حبٌ نقي، ولكِ مني حب صاخب فيه من كل شيءٍ شيءٌ، أنتِ مسكينة وأنا أحبكِ، عليكِ مني سلام وحب وقبلة صادقة وحكاية جديدة نحكيها معًا.

أحبكِ والسلام.

يا سكرتي

صباح الخير يا سَكْرتي.

كيف حالك يا أنا؟ أحبكِ كما اعتدت أن أبدأ رسائلي دومًا إليكِ، كل هذا زائل عدا حبنا، أليس كذلك؟ حين تحترق النجوم وتفنى الأكوان وتنقرض الحياة كلها يبقى الحب، ربما لأنه أقوى من الفناء وأقوى من الاحتراق وأقوى من الحياة نفسها.

لمّا عزفتُ للأطفال نغمًا حزينًا قال لي أحدهم أنت محب، ولما حكيتُ للجد حول النيران في فناء بيتنا الخلفي قال لي أنت عاشق، وحين حكيت للسماء عنكِ شاركت أمطارها دموعي وقالت لي أنت هائم، وحين أخبرت البلابل المهاجرة

باسمك تشدو به ليزداد شدوها جمالًا قالت لي أنت وله، ولما سرت أشدو بصوتي الرخيم عنكِ ردد الصدى أنت محتاج، ولما أخبرت الجدة ذات الضفيرتين قالت لي أنت غبي، المرأة تحب الطفل القوي والرجل الهش والورد الجوري.

الورد الجوري ينبت في ربوع الشام، أرض استمدت جمالها من ثغركِ، فصارت كل النفوس تخر صريعتها، تنظرين لوجهكِ في المرآة مبتسمة لا أعلم هل ذكرتني أم ذكرتِ موقفًا أثار بسمتكِ فابتسمتِ لكن هذا الثغر المنفرج جميل ربما أجمل من ألف حكاية حلوة الوقع.

كنت أريد اليوم أن أتغزل في عينيك أكثر، لكني وجدتُ أن العربية لا تحمل سوى حروفٍ بسيطة لا أستطيع أن أصفكِ بها، علمت أن أحدهم قال أن الصمت في حرم الجمال جمال

لكني لا آبه له، الغزل في حرم الجمال جمال، السقوط في عينيكِ جمال، أن أقف على شفا حفرة من الهلاك لأني أحبك جمال.

لكِ مني وردة جورية، وحبٌ باقٍ، وسلام على قلبك المتعب.

أحبكِ والسلام.

يا سكرتي

صباحُ الخير يا سُكّرَتي

كيف حالك؟ أنا أحبكِ لأنَّ الذي يحب لا ينهي حبَّه أو ينساه أو يتخلى عنه، وأحبكِ لأنَّ قوة حبكِ كانتْ أكبر من أن تذهب سدى.

عيناكِ عينان تجريان فيهما كل ألوان الجمال، هاتان عينان خلقهما الله، ثم صب فيهما جمالًا يضاهي جمال الكون، وحين أفقتِ من سكرتك الأولى تركتِ في كل ركنٍ من الكون قُبلة، فزرعتِ في كل ركن جمالًا لا نعرفه.

فصار كل هذا الجمالُ إليكِ في النهاية، جمالُ الوردِ الجوريّ وجمالُ شوارعِ القدس العتيقة والكعك الدمشقي، جمالُ صيحات الأوائل

وحكايات الأجداد وتجاعيد الزمن وصوت الغناء الأزلي للكون والناي الحزين والتفاصيل الصغيرة في قدمي طفلٍ حديث الولادة، وصوت رجلٍ تسعيني يحكي لأحفاده كيف أحبَّ للمرة الأولى. كل هذا الجمالُ إليكِ.

أحبكِ لأنني لا أملك أمام عينيكِ إلا أن أحبك.

أحبكِ لأنكِ قادرةٌ على جعلي طفلًا مسكينًا ورجلًا قادرًا وأبًا شفيقًا وابنًا محتاجًا.

أحبكِ لأنّ الحياةَ أهون من أن نسيرها معًا، وأصعب من أن تخوضها قدماكِ وحدهما.

أحبكِ لأنني أريد أن أحتضنكِ مرةً واحدة للأبد، تبقى ولا تزول.

أحبكِ لأنَّكِ قد تبكين في ليلةٍ طويلةٍ وحدكِ مشتاقة إليَّ ولا يمنحكِ كبرياؤكِ الفرصة لإرسال رسالتك إليِّ.

أحبكِ لأنَّ الحبَّ منتهاه إليكِ وبكِ ومنكِ وفيكِ.

أحبكِ لأنني أحبكِ.

تلك عشرة كاملة، وما خفي من الأسباب عنكَ مئات الآلاف، وما لم أقله وخفي عني أكثر وأكثر، أنتِ طفلة صغيرة تائهة، وأنا أعلم كم لهذا القلب من صدودٍ وقسوةٍ، لربما قتلتِ قلبكِ لأنكِ لا تريدين منه أن يحن أو يلين أو يعود.

ذات ليلةٍ جميلةٍ على رصيف قطارٍ مخلخل الجوانب وقفنا، كنا قد سرنا طويلًا جدًا وأنهكنا التعبُ والسفر، حينها بُحتُ لكِ وضممتِ بَوْحِي بحبٍ، حينها أحببتُكِ وقبلتِ حبي بعشق، حينها عشقتكِ وقبلتِ عشقي بهيامٍ، حينها همتُ بكِ وقبلتِ هيامي بولهٍ، حينها ولهتُ بكِ وقبلتِ ولهي بجنونٍ، حينها جننتُ بكِ وقبلتِ جنوني بأمومة، حينها صرتُ طفلكِ للأبد.

ذات ليلةٍ أجمل منها قد أرحل بعيدًا وللأبد، حينها سأحملك معي، وأدفنكِ معي، وأحكي للملائكة أنَّ بنتًا في أطرافِ الأرض حازتْ جمالًا لا يخبو أبدًا.

أنا أحبكِ والسلام.

يا جنوبي

صباحُ الخيرِ يا جنوني

كيف حال أضلعكِ التي اعتادت فراغاتها تعبي؟ أنا أحبكِ. في الحياة خيارات عدة، أن نقاتل أو نضيع في ركائب المنهزمين، نختار أن نحب أو أن نعيش جبناء، نختار أن ننتصر في حروبنا أو نسقط الراية مرة واحدة وإلى الأبد، نختار بعضنا البعض أو نختار ألا نبقى أحياءً ونربط حياتينا بحياتيْن غيرنا. وأنا اخترت أن أقاتل وأن أحبكِ وأن أنتصر وأن أختاركِ.

القتال الحقيقي في حياتنا أن نحب اختيارنا رغم وجود من هو أفضل، وأنا انتصرت فيه كما انتصرت في غيره.

يا واسعة العينين في حكاية القلب انتصر حبكِ، وفي حكاية العقل انتصر عشقكِ وفي حكايات الناس هتفت باسمكِ حتى بُح الصوت وانقطع.

يا موجة البحر العاتية، أنا غريق كل بحرٍ إلا بحرك، لا أجيد السباحة إلا فيه، أغرق فقط حين تقولين لي «أحبك».

يا جنون الحبِّ، سلام على من رأى الحبَّ حربًا فخاضها حتى النهاية، سلام على من حكى في الليل حكاياته فانتشت النجوم وابتسم القمر وخجلت السماء وتفتح الورد، السلام على الحبِّ وعليكِ.

أنتِ جنوني، حين تقولي لي أحبك فلا عاصفة تقارن بما في صدري، وحين يمسي الحبُّ -يا حبُّ- قتالًا أتساءل أين أنتِ منه؟

يا قتّالة الفؤاد، حتى يصير لدينا حكاياتنا التي نحكيها لأحفادنا على البساطِ في ليلةٍ

خلتْ من كل قمرٍ إلاكِ، وخبت فيها كل النيران إلا نيران شوقي، سأقاتل وأحارب وأنازل ولا أسقط.

يا ضحوكة السنِّ، سلام على الحب أينما حل ماؤه ليروي قلوب العاشقين، وسلام عليكِ أينما حلتْ بسمتكِ لتروي قلبي المسكين، وأينما حلتْ نظرتكِ لتحرق الفؤاد، وأينما وقع صوتكِ ليحيي ما مات في أضلعي.

إني على سفرٍ في عينيكِ، وحبٍ في قلبكِ، وعشقٍ ماضٍ في شفتيكِ، وعلى وعدٍ بالقتال حتى النهايةِ، أنا أحبكِ والسّلام.

عزیزی

كيفَ الحال عزيزتي؟

اشتقتُ لك جدًا في اليومين الماضيين، أنا أحبك، أعلم أَنّكِ قد تكونين قد ضجرتِ من هذه البداية التي أبدأ بها كل رسائلي إليكِ، لكنني لستُ من أولئك الأدباء العظام، أنا مجرد رجلٍ بائس معلق بحبلٍ واهٍ من الحب، وكل هذه الحروف ليست أدب، إنها قطرات دم نازفة من جرح لا يبدو أنه سيلتئم، أو تأوهاتٌ روحٍ ما عادت تطيق الحياة.

هذه هي الرسالة الثامنة عشر، نعم! نحن سويًا من سنةٍ ونصفٍ كاملتين، حتى أنا لم أصدق حين نظرت لتاريخ اليوم، بالنسبة إليّ -كما تعلمين- فأنا قضيت اليوم غارقًا في بحركِ سنتين.

العمر يمضي بسرعة مرعبة، الأكثر رعبًا أننا لسنا معًا، لا أعلم أن كل تلك القسوة سكنت هذا القلب البسيط الخائف، قلنا أنها قسوة محب وأن الحبيب يقسو على قدر حبه، وقلنا أنها قسوة خوف وهروب، وأن خوفكِ يورثك هروبًا وقسوة لتحمي بهما روحكِ وقلبكِ وعقلكِ، وقلنا أنها قسوة لازمة كي يستمر الحب ولا يموت، قلنا كلَّ هذا معًا، ما لم أخبرك به أن كل تلك القسوة صارت كثيرة عليّ جدًا، وظني أني لا أستحق كل هذا وإن كنت سيئًا.

لم أعد أحتمل يومًا جديدًا تملؤه القسوة والبعد وانتظار أن يرضى عنّي قلبكِ فيحملك إليّ حملًا. ترى هل يفعل بكِ قلبكِ كما يفعل بي مثيله هنا؟ وهل يحدوكِ الشوق ممزقًا إياكِ كما يحدث لي أنا؟ وهل تنتظرين الليالي مثلي غاضبة عليّ لأني لم أبدأ معكِ حديث عشق كالذي اعتدناه؟ أم أن كل هذا لا يروق لكِ ولا قيمة له عندك؟

أعلم أني بالنسبة لكِ رجلٌ ضعيف، وإن كان هذا يدغدغ عندكِ شعورٌ ما لكنكِ لا تحبينه رغم أنّكِ أقسمتِ مائة مرة أنكِ غير آبهةٍ به وأنني لستُ كذلك، لكني حقيقة لا أعلم، لا أعلم كيف أتخلص من كل هذا الألم الساكن في قاع صدري إلا بضمةٍ منك، تلك الضمة التي حرمتِها عليّ لسببٍ لا أفهمه، وقررتِ أن هذا يكفي، ولا أعلم هي حرمة مؤقتة أو دائمة، ولا شيء يسعّر الألم إلا الخوف والرجفة من عودة ألمٍ عظيمٍ أجاهد لأدفنه من شهور عصت على العدِ.

رسالة كالتي اعتدتُ أن أبعث بها لكِ عند كل شهرٍ لكن هذه المرة لأن كلًا منا يسير في طريق قسوته إلى النهاية، ولأنكِ حرمتِ قلبك عليّ لم أجد مفرًا من قولها هنا، أرجو أن تسقط عيناكِ عليها ولو قدرًا لتهزكِ، وألا ترينها لئلا تظنين أني أستجدي منكِ حبًا أو وصلًا على ملأ

من الناس، وأتمنى أن تقرأيها كلها علّ ما فيها يلمس منكِ شيئًا، وأرجو ألا تكملي قراءتها كي لا يضايقكِ ضعفي أو محبتي لكِ.

أنا أحبكِ والسلام.

يا جنتي

صباحُ الخير يا جنَّتي

كيف حالك؟ أنا أحبكِ. واشتقتُ لكِ جدًا، قالوا لي أنَّني لا أعرف كيف أتغزل بكِ، وما ذنبي إن كان جمالُكِ أقوى من غزلي؟ يا حبيبتي عيناكِ كلؤلؤتين مسكينتين جاءتا من فضاءٍ غريبٍ غير فضائنا، فضاءٌ يسكنه العشّاقُ المساكين، أولئك الذين تخلتْ عنهم حبيباتهم لأسبابٍ لا يعرفنها، تلتمعان في ليلةٍ صافية صفاءً كقلبكِ.

قلبكِ حكاية لا تُنسى، حكاها الجدُّ ذات نيران أشعلها الطفلُ ذو الذؤابة، فلمّا حكاها انتشينا وصرنا كالسكارى لا نعلم ماذا نصنع، كانت حكاية لها جمالُ ثغركِ. ثغركِ كحبة

حُبٍّ لا يذوقها كلُّ العشاق، هي للعاشقين الصادقين الفاقدين المُبعدين، يحكون حكاياتِ فقدهم في ليالي الحرب، الحرب التي تشبه في سوادها سواد عينيكِ.

سوادُ عينيكِ يشبه الليل البهيم، يرى فيه جميع الناس شرًا وخوفًا، وأرى فيه حبًا وأمنًا، أعيش فيه أتنسم نسمات لطفه الذي يشبه وجنتيكِ. وجنتاكِ كحبتي رمانٍ من الجنّة، تسبح فيه قصائد عمر وعنترة وامرئ القيس، لو كانوا يعرفونها لما كتبوا لحبيباتهم.

كل هذا وأنا لم أرَ منكِ إلا طرفًا من حبٍّ، وحكاية من عشقٍ، ونتفةَ وله، ولمسة هيام واحدة، كل هذا وأنا مسكين لا أدري ماذا أفعل إلا أن أكتب، أو أنظم وأقرأ، أقرأ لي ولكِ، لعلكِ لا تقرأين، أو لعلكِ لا تجيدين القراءة، أو لعلكِ لا تجيدين الحب.

أنتِ زفرة الحربِ الأخيرةِ التي تخرجها الأرض لمّا تضع الحربُ أوزارها، وحبةُ اللؤلؤ الأخيرة التي انفرطتْ من العقد الثمين. أنتِ النسمة الأولى بعد عاصفةٍ هوجاء، وإشراقة الشمسِ الأولى بعد إعصارٍ قاتل. أنتِ الجزء الأوسط من الثورة الكبيرة، والحكاية الوسطى من حكايا التاريخ القديم، والسهم الأوسط في كنانة ملأى بسهام الحب، والركن الأوسط في كلمة حب، الذي غاب عن كل العالم واللغة إلا أنتِ.

أنت التعقيد المبسط، والبساطة المليئة بالتفاصيل، أبعد الأقرباء وأقربهم، وأقرب البعيدين وأبعدهم، أنتِ الصوتُ الحَسَن للكونِ، والأغنية القبيحة للنجوم، والقصيدة المنسية من كتب الشعر القديمة، والأبيات التي يحفظها كل عاشق.

أنا مسكين بحُبكِ، ومسكين يُحبكِ، ومحظوظ بكِ، وغاضبةٌ عليّ الدنيا لأجلكِ، أنا لا أجيد الكتابةَ ولا أحبها، ولا أزعم أنّي أديبٌ شق سماء الأدب بسيفٍ ذي ذؤابتين، أنا مسكين تنزف روحي نزيفًا لا يُسكنه إلا مرآكِ ثم الحروف.

أنا أحبكِ والسلام.

ثلاثمائة يوم !

ثلاثمائة يوم! رباه.

كنا معًا ثلاثمائة صباح مجيد، أخذ عطره الدافئ من أنفاسك وأنتِ تتغزلين بي، ومثلها ثلاثمائة ليل جليل، لم يغب فيه القمر قط، كان قمر الناس يغيب وما زال قمرك ساطعًا في سمائي، أخذ الليل جمالك ودفئك وعينيك فأصبح للعشاق مأوى، يتغزلون في حبيباتهم طول الليل، ولم يعلم أحدهم أنه جمالك أنتِ.

أحبك جدًا، ربما لو أخبرني أحدهم ذات مساء بعيد أنني سأصبح بكل هذا الوله لظننت بعقله الظنون، وهأنذا أحببتك حتى ظننت الظنون بكل من رآك ولم يقع في حبك. اشتقت لك جدًا، أنا أشتاق لكِ وأنتِ معي، فما بالك وأنا بعيد عنك آلاف الأمتار؟

أحبك، لأنه لا يسعني أمام عينيك إلا أن أفعل..

أحبك، لأنني طفل يحب أن يأوي لأمّه كلما أخطأ..

أحبك، لأن روحك وحدها انشطرت حين خلقت قسمين، نصفها الثاني هنا.

أحبك، لأنني لم أرَ أجمل منكِ قط.

أحبك، لأنني ما زلت أذكر انتفاضتي حين رأيتك للمرة الأولى.

أحبك، لأن قلبك ينبض نبضتين، في صدرك وصدري معًا.

أحبك، لأنك خلقت كي أحبك.

أحبك، لأن الكلمة التي يسمعها الآخرون ويمررونها تصير لي نغمًا.

أحبك، لأنني لم أجد قلبًا مثلك، أو روحًا تشبهك، أو عينين كعينيك، أو حبًا كالذي تملكينه لي.

أحبك، لأنني لا أستطيع أن أقول لماذا أحبك!!

ألم أقل لكِ ذات مرة أن قصتنا سويًا أبسط من أن تحكى، وأعقد من أن تعاش؟ لكنني في هذا الخطاب بالتحديد أقول لك أنها قصة تستحق أن نرويها لأطفالنا ذات مساءٍ ممطر، وأنت أتدفئ بين ضلوعك.

سنعيش معًا ثلاثمائة عام، وتعيش ذكرانا لثلاثمائة ألف عام، ويعيش ما صنعناه سويًا أبد الآبدين، هذا الشهر أنجزت في علاقتنا كثيرًا وفي عشنا الصغير أكثر، وفي قلبي أكثر وأكثر، صنعت ما اتفقنا عليه تمامًا تمامًا. ما زلت أكتب لكِ، اكتبي لي لأنني اشتقت حروفك جدًا.. أنا أحبكِ والسلام.

يا حُلوتي

صباح الخير يا حُلوتي.

كيف حالكِ؟ أنا أحبكِ لأننا بالحب نحيا وفيه نقاتل وفي آخره ننتصر وفي جنباته نموتُ، نحن يا صديقتي نحيا كذبة كبرى تدعى الحياة، لا حقيقة فيها سوى نهايتها، ولا ألم فيها سوى الفراق، ولا بعد فيها سوى بعدكِ، ولا خير فيها سوى الحرب، ولا جَمَالَ فيها سوى عينيكِ. سلامٌ على الحبِّ وعليكِ يا رفيقة الدرب بسيطة الروح عظيمة الفؤاد.

إنِّي أحبُّكِ لست أدري كيف أصنع، لستُ أدري إلا أنَّكِ كنتِ دومًا سجينة ضلوعي وسوف تظلين للأبد، وإنِّي مُحاربٌ، علمني جدِّي

أن الحياة حكايا تروى للأولاد في ليالي الشتاء حول المدفأة، وحكايا تُحكى للفتيات وهنَّ يتعلمن الغزْلَ من الجدِّة ذات التسعين عامًا، وعلمني أنَّي لا بد وأن أكون حكاية حُلوة الوقع عظيمة التفاصيل، وأن أنهيها منتصرًا.

وإني غريبٌ، زهدتُ الحياةَ وبنيتُ حول نفسي أسوارًا لا أعلم لمَ، كنتُ خائفًا من الحياةِ، من الموتِ على غرة، من القتال بلا جدوى، والحرب بلا نهاية، صمدتُ أمامَ كلِّ شيءٍ سوى عينيكِ.

وإنّي منتصرٌ، في حربي وحبي وقتالي ونزالي وحياتي، لا ينقصني سوى ضمَّةٍ منكِ وقُبلة. وإني بعيدٌ، بيني وبين عينيكِ سفرٌ مرهق، وبيني وبين ضمتك سجالُ أشهر، وبيني وبين «أحبكِ» منكِ مسيرة ألف ألفِ حبٍّ. وإني مُتْعَبٌ، حد الوجع القاتل، حد خروج الروح من الجسد وسكنى التراب، لكنّي واقفٌ لم أسقط. وإني أحبكِ.

وأنتِ قصيدة شعرٍ كتبها الثوار ليلة أن سقط التمثال الأخير، وحكاية هزجٍ حكاها القصاص ليلة أن نام آخر طفلٍ يتيم هانئًا، ورسالةُ حبٍ خطها العاشق الأوّل بعدما التهمته القبلة الأولى، ونقشُ خاتمٍ جدٍّ عشق مذ كان طفلًا حتى ضربَ بعصاه عامه المائة.

إني ماضٍ في الطريق حتى النهاية، حتى أكون حكايةً تروى بعينين لامعتين، إني أحبكِ والسلام.

يا جنتي

صباح الخير يا جنَّتي.

كيف حالكِ؟ أنا أحبكِ. في السماء اثنتان وعشرون نجمة وقمر واحد يشبهكِ وليلٌ استمد سواده من عينيكِ وحكاية سأحكيها أنا. وفي الأرض اثنتان وعشرون وردة جورية وأدهمُ يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا ووخزات مطرٍ وحب. وفي قلبي جرح قديم ووجع صديق راحل ووصية جدٍ غائب وصداقة وطفولة وأبوة واثنتان وعشرون قُبلة مني لكِ.

يا صاحبتي أنا أعلم أن قطرة المطر تكون ساكنة حتى تسقط على الأرض اليابسة

فتحييها، وأعلم أن الحياة سيئة إلا حين تعلنين ابتسامتكِ لها، وأعلم أن القلب في أضلعي ميت إلا حين تخرج منك كلمة أحبك.

يا رفيقتي إن في قلبي ألف حكاية حلوة الوقع علمتكِ إياها، وألف قصيدة غزل نظمتها لكِ، وألف كلمة حب نسجتها من بين حروف اللغة، ولم يبقَ لي سوى حكاية وقصيدة وكلمة حب واحدة. أروي الحكاية وأشدو بالقصيدة وأترنم بالكلمة فقط حين أكون في حضنكِ.

يا طفلتي المدللة سأخبركِ سرًا ربما يكون مفاجئًا لكِ، أنا أعشق كوني طفلًا بين يديكِ وكونكِ طفلة مزعجة معي، لكن هذا وقت الخلاف بيننا يذوب ولا يبقى سوى قلبين محبين وعلقين مختلفين.

يا غاليتي إن الله قد من عليّ بكل جميل وابتلاني بكِ في قلبي، وبيده وحده أن يحيل

ابتلائي بكِ جميلًا أشكره عليه صباح مساء، يا حلوتي أنا أحبك، مني لك اثنتان وعشرون وردة جورية واثنتان وعشرون نجمة مضيئة واثنان وعشرون حبًا واثنتان وعشرون قبلة على وجنتيكِ ووعد واحد بالقتال حتى النهاية.

أحبكِ والسلام.

يا من أسرتني

صباح الحب يا من أسَرَتْنِي تأخرت كثيرًا!

كثيرًا جدًا، لكنني أحبك، وبطريقة لم أتخيل أنها فيّ يومًا لكنها هنا، إنه الشهر الخامس عشر لنا معًا، أربعمائة وخمسون يومًا إلا سبعة وخمسين حبًا.

أحبك، واشتقت لأحرفكِ كثيرًا، لم تكتبي لي منذ زمن ولا أعلم لماذا لكني أرجوكِ أن تفعلي ولا تتجاهلي أحرفي.

كيف حالك؟ أنا متعب للغاية، متعب حتى ظننتُ ألا يوم سيأتي لأرتمي بين سحرك ونحرك وأبكي كالأطفال، أنا يائس جدًا، يائسٌ حقًا ولا أجد جدوى من الحياة إلا أنكِ هنا.

أنا مسكين، أشبه جوابي الأنحاء الذين قطع أملهم من الحياة فصاروا كالمجاذيب، وأنا منهك، لا طاقة لديّ لأي شيء، طاقتي تكفيني لأجري نحوك وألقي بالتعب واليأس والخوف والغباء في صدرك، وبحروف مقطعة أرجوكِ أن تغيبيني عن الحياة داخل أضلعك.

عشتُ معكِ ما لم أعشه مع غيركِ ولن أعيشه، لكني رغم كل شيء أحبك، حين وجدتني نفسي مسكينًا جدًا أتت لي بكِ في أحلامي أعانقكِ وأقبلكِ ولا أعدو القبلة البسيطة أبدًا. اشتقت لكِ، لتلك النظرة التي تجيدين اللعب بها على أوتار قلبي، وتلك الهمسة التي تخبريني فيها بهدوء أنكِ لي.

اشتقت لحبك لي وقلبك المسكين، أنا أحبك، سامحيني لأن الرسالة تأخرت، سأعوضك عنها، اكتبي لي كثيرا.

أحبك والسلام.

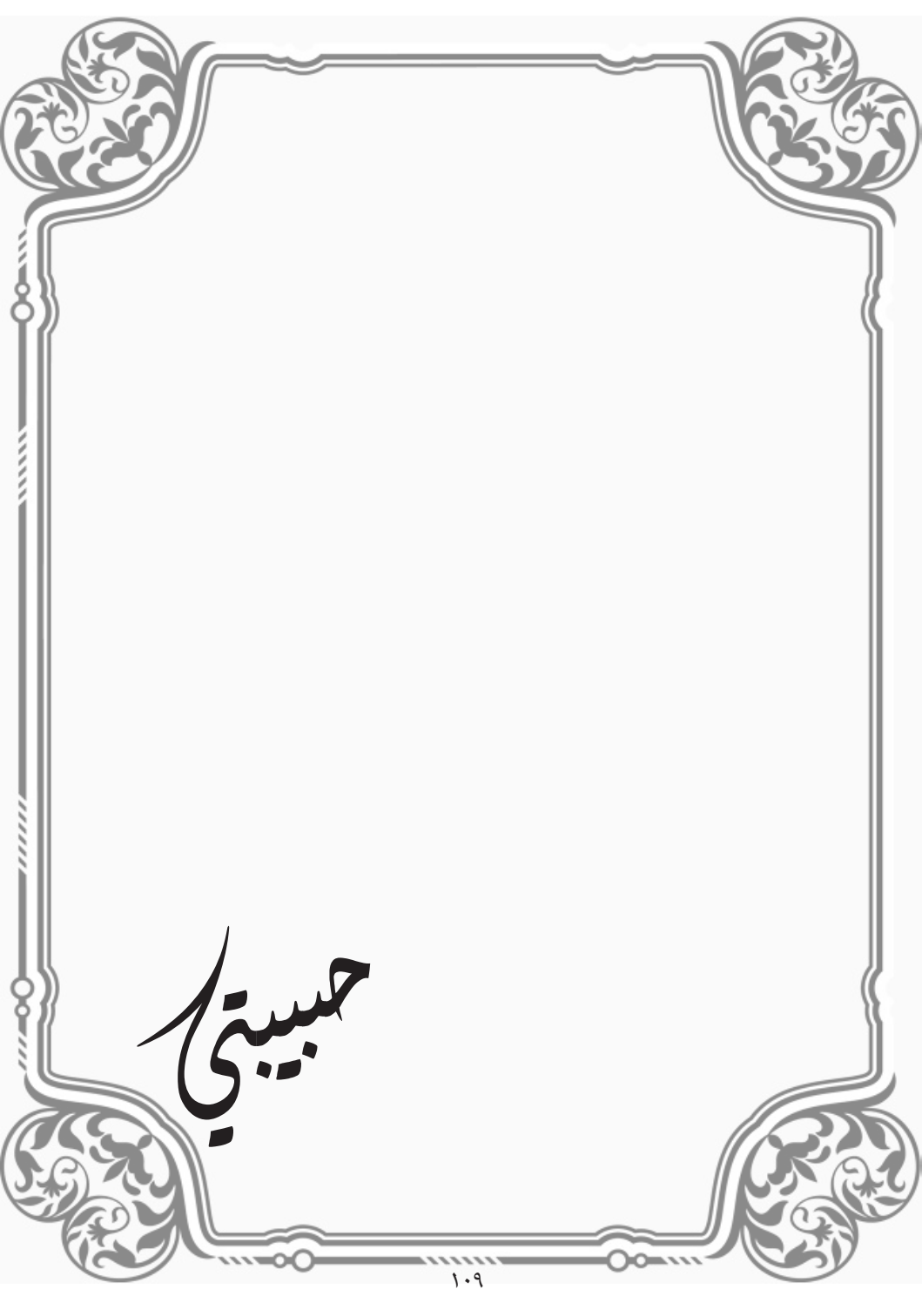
حبيبتي

حبيبتي.. مساء الحب على حبكِ..

أنا أحبك لأني لن أجد عشقًا أو حبًا أو جمالًا يضاهون جمالكِ.

لا!

أنا أحبكِ حتى لو كان لجمالكِ ألف مثيل، وإن كان في حب غيركِ الحبّ كله والجمال كله والبهاء كله والشوق كله، ولو وضعوا لي كل هذا في كفةٍ لبحثتُ عنكِ أضعكِ في كفةٍ وحيدة ثم أحبكِ.

كيف حالك؟

جمالك؟

قلبك؟

وتلك الفرحة الصغيرة الكبيرة في عينيكِ؟ هلا دفعتُ لكِ عمري كله وبقيتْ هذه الفرحة في عينيكِ للأبد؟ أنا مستعد لهذا كله لو رضيتِ.

أقسمتُ بيني وبين نفسي أن أجعل يومكِ بعيدًا عن الخلاف تمامًا وألا أشعركِ أني تغيرتُ.

أحببتك، تمشيت معك، ناقشتكِ، وخضنا في أمر شائك نجحنا سويًا أن نخوضه ونخرج منه راضين محبين صامتين صاخبين دونما حزن أو ضيق يمزقنا.

ظننت أن هذا سيأخذ مني جهدًا عظيمًا لأفعله، لكني وجدت أن عينيكِ وحبهما كفيلان أن يسكتا صخبي وغضبي وطفولتي.

أنا متعب قليلًا، جدًا وكثيرًا، لكني منتشٍ نشوة طفل وجد أمه تعد له حبًا اشتاق إليه.

أنا مرتاح جدًا ومتعب للغاية، نعس جدًا ومستيقظ بنور عينيكِ للأبد، جاف جدًا ومشتعل بك حد الموت، مسكين جدًا لكني أحبك كما لم يفعل العاشقون لعشيقاتهم في التاريخ كله.

اليوم، الليلة، اللحظة، فهمت لمَ نسيَ العاشقون أنفسهم وأحوالهم وهاموا وراء حبيباتهم يبغون وصلًا وحبًا وشهوة وقلبًا.

اليوم عرفت أني سأكون لكِ حد الموت، وتكونين لي حد الحياة.

أحبك والسلام

القلب حبة

صباح الخير يا حبة القلب ،

صحوت فجأة من نومي..

هذا اعتدت عليه كثيرًا مؤخرًا، أنا أحبك في تمام الرابعة صباحا، لقد اقترب فجر يوم جديد ولا أعلم كيف سأكون حين تغرب.

أنا متعب بشكل حقيقي، لا أعرف إن كان هذا يصل إليكِ تماما وتستوعبينه أم أنكِ تظنينها نوبة استضعاف من نوباتي، لكنني متعب فعلًا.

أنا لا أذبحك أو أنصب لكِ مشنقة ولا أحب أن أفعل..وإن كنتِ فعلًا تعتذرين لي آلاف المرات عن الذي فعلناه سويًا فأنا أحب اعتذارك وأقبله، أنا أدافع عن حقٍ في التعب لا أبحث عن دمعك الذي يسيل خجلًا مما فعلتِ!

أنا لا أستطيع إلا أن أسقط، أنهكت فعلًا ولا أستطيع فعل شيء، فيما قدم من أيام ستكون أسوأ نسخةٍ مني على الإطلاق، أعرف أن هذا صعب الاحتمال ولا ألومك.

أعلم أنك لا تحبين هذا، ولا ترتاحين لأنك عاجزة عن الوقوف جواري كما نحب سويًا لكن أنا سأكون سيئًا ولم أجد في روحكِ متسعًا لتحمل نسخة مخبأة مني.

أنا أحبك، وأؤمن أنكِ تحبينني لكن أخشى أنك لا تستطيعين التحكم في غضبك أبدًا.

أنتِ غاضبة فما علاقة غضبك أن تقولي على كلمة أحبك أنها بلا قيمة؟ وما علاقته أن تصبي عليّ جام غضبك فلا تهدأين ولا أهدأ.

ضعي نفسك مكاني، سترين أنك تحاولين معاقبتنا أو كسرنا بلا وعي منك وأنا لا أدرك لماذا.. حقًا لا أفهم.

أنا أحبكِ، وعهدت اليوم الماضي منكِ غباءً لم أعهده قط! كنت أتشبث بكِ حتى تقولي لي ابق لا تغب..وانت تقولين لي افعل ما تحب. اللعنة!

أي عقل كان في رأسك وأنت لا تفهمين ما أقصد؟ أنا أقولها لكِ بتخابث أن قولي لي لا ترحل، قولي لي ابقَ ولا تغب! لا أن تقولي لي كما تحب!

أنا غاضب عليكِ كثيرًا، وربما حين أعود نحكي كثيرًا عما فعلناه....

أنا أحبك والسلام

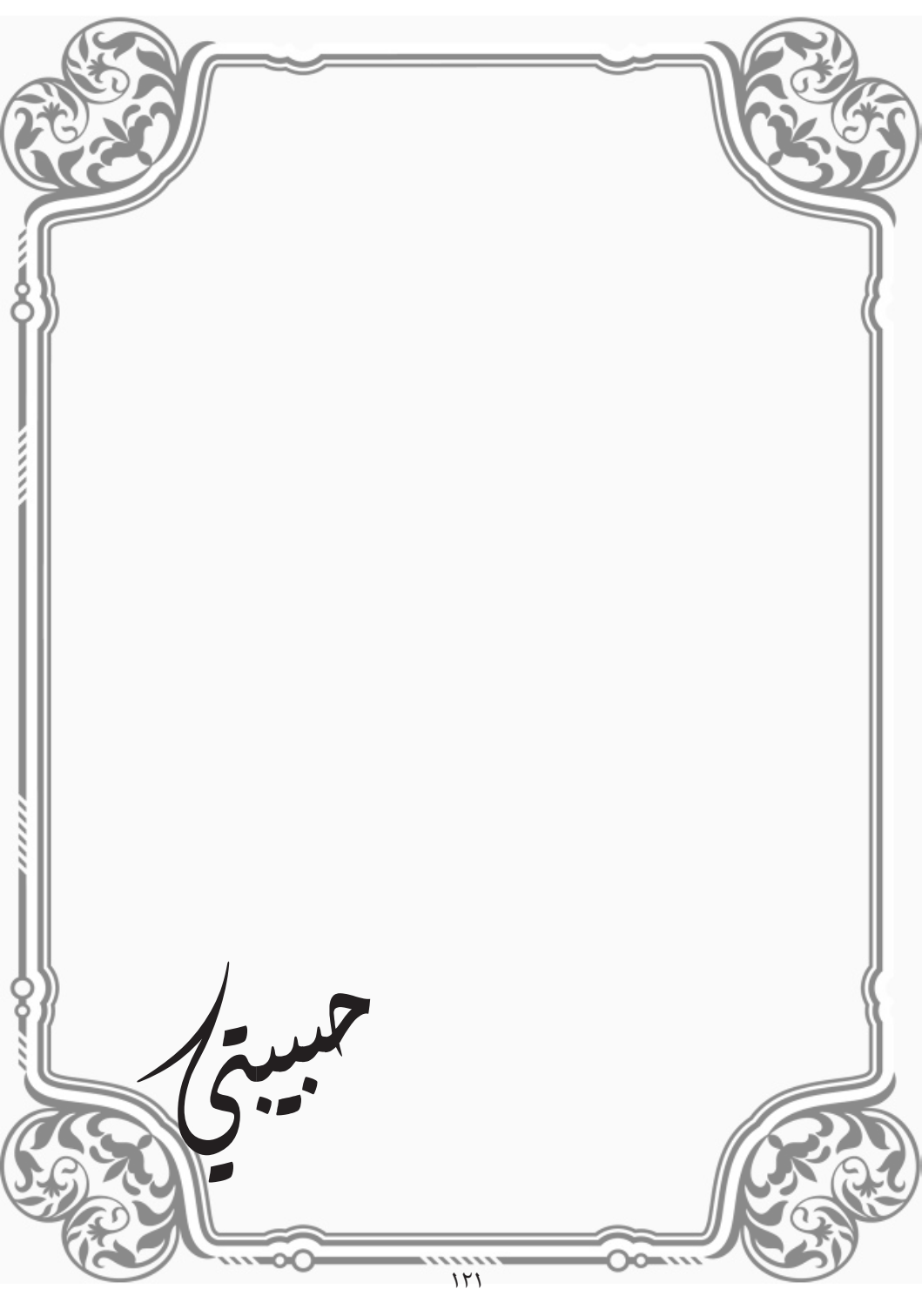
حبيبتي

حبيبتي.

هذه المرة السابعة التي أكتب إليكِ فيها رسالةً كهذه، أنا اشتقتُ إليكِ جدًا، لم أركِ منذ مائة يوم تقريبًا، وأنا وأنتِ لم نعتدْ هذا في شهور حبنا السبعة. لكن قريبًا جدًا سأراكِ إن شاء الله. جمعني بكِ أرضٌ غريبة لم أزرها إلا مرةً واحدة، وأخبركِ سرًا؟ أنا اعتدتُ أن أركز نظري عليها كلما صعدت إلى عربات المترو.

منذ سبعةِ أشهرٍ كنا معًا في شارعٍ قديمٍ قدم التاريخِ نفسه، وكنتِ معي بالروح والجسد ولم نفترق من وقتها، مضت مائتا يومٍ وعشرة على أحبك الأولى التي قلناها صادقة، وأريد أن

تمضي مائتا عام عليها وأنا أقولها صادقة كالمرة الأولى. أخبركِ سرًا آخر؟ أريد احتضانك الآن الآن، لكن أسلي نفسي أنني سألقي بنفسي فيه يومًا للأبد. أحبك.

جميلتي النائمة..

أنا أحبك كما أنتِ، أعشق هاتين العينين حين تضحك، وحين تفكر، وحين تهرب، وحين تبكي... وحين تحب. لم أستطع منع نفسي منذ يومين من التفكير في هاتين العينيين وتلك اللمعة تحديدًا. لمّا خرجتِ من هناك ونظرتِ لي، وفي كل مرة تأتين إليّ وترين وجهي أرى فيهما لمعانًا عجيبًا.

وحين تغضبين مني وتنظرين لي هذه النظرة اللائمة أتجمد تمامًا، أفقدني وأفقد كل كلام وكل حرف، وأتوه، ولا أجد لنفسي مهربًا إلا إلي عينيك. أحبهما، ربما مذ رأيتك أول مرة وأنا أحبهما، رغم أني احتفظت بهذا نفسي.

ولما ركبت هاتين العينين على ذلك الوجه الملائكي لم أستطع منع رجفةٍ تجتاحني كأنها زلزال. حبيبتي أنا أحبك وأحب عينيك حقًا، هلّا سمحتِ لي بتقبيلهما؟ وإن لم يكن فإني على وعدٍ بالقتال والحربِ حتى النهاية، أنا أحبكِ والسلام.

يا حرمي

صباح الخيرِ يا حَرْبِي.

كنتُ أعلم من اليوم الأوّل لي في حبّك أنَّك تعشقين الوردَ ربما أكثر مني! ذاتَ ليلٍ استمدّ جمالَه منك وأفضتِ عليه من صفائك رحلتُ أنا، سرتُ في جمالٍ لا ينقطع، هتفت باسمكِ عندَ كلِّ ربوةٍ وخلفَ كل تلٍ، جُلتُ في الشام حتى ظننتُ ألا جمالَ يضاهي جمالها، قطفتُ من حياض الورد في دمشقَ جمالًا لكِ وحدكِ، حين خطوتُ بقدميّ داخل أسوار المدينة القديمة في حمصَ تذكرتُك، لقلبكِ نفسُ العبق في جدرانها، لعينيكِ لونُ الوردِ في جنّاتها، لروحكِ طعم الرّمانِ في أرضها، ثمّ عرجتُ على القُدس، يا الله! لم أظن أنّي رأيتُ يومًا قطعةً من الجنّة إلا عينيك وهذه المدينة، وضعتُ لكِ الريحان في

كعكٍ أخذتُه من عجوزٍ تحمل الحبّ في أصابعها التيِ هزمتْ الزمن، سرتُ في طرقاتِها وأنتِ معي، سرتُ حتى اجتمع عليّ الظمأ لشفتيكِ وللماء.

لمّا شربتُ من ماء الحارة القديمة التي توصلني للمسجد ظمأتُ أكثر ولم أرتوِ، تركتها ومضيت، سرت في زقاقٍ مرصوفٍ بالحبّ ودماء الثوار، لمّا عبرتُ الباب الأول وجدتُ جدران حيفا، كانتْ كعينيك تمامًا، حزينةٌ لا أعلم لمَ، وصادقةٌ كأنّها امرأةٌ صالحةٌ تعيش في قلبِ مدينة سوداء كقلوب الكافرين.

لمّا أحببتُ أن أسمعَ الجمال وأرى الغناء فتحتُ أبوابَ عكا، لمّا خطوتُ الخطواتِ الأولى لي هناكَ رسمتُ وجهك بالطبشور والحبّ على حوائطها، وكتبتُ أنّي أحبكِ ألف مرةٍ، ثم مضيتُ، سرتُ بقدمين عاريتين على صفحات البحر الكبير، ولما رسوتُ في جزيرةٍ واسعةٍ رأيتُ فردوسًا ضلّ طريقه وسكن هنا.

قال لي رجلٌ خط الزمن في وجهه أن شطر وجهك تسكن قرطبة، سقط قلبي في قدميّ كالليلةِ التي فارقتني فيها تمامًا، سرتُ كنائم غاب عن الوعي ألف عام، ولم أستيقظ إلا لمّا غابَ سحرها في أنفي فأفاقني، هذا جمالٌ صبّته أيدي الملائكة على الأرض، لم أملك شيئًا أمامَ هذا الجمال إلا أن أتذكركِ.

كنتُ أعتذر لهذا الجمالِ عن قبحي بذكراك وقلمي، وقلبٍ لم يعرف الكره طريقًا إليه قطّ، أظن أن أسوار الحمراء غفرتْ لي قبحي لمّا رأتْ قلبي يحملكِ معي، سرتُ كثيرًا جدًا في طرقاتها الباردة، ولعنتُ من فرط بهذا الجمالِ ألف مرة، ثم مضيتُ.

رأيتُ نورًا بعيدًا، قالتْ لي الخيل المرابطةُ هناك أنّها طليطلة، سمعتُ حواري الحبّ تغني لعينيكِ فابتسمتُ، كيف عرفَ العالمُ الحبّ أو الجمالَ قبلك؟ سمعتُهن حتى ثملتُ، ثم مضيتُ، على ظهر الخيل قرأتُ أقاصيص كثيرة، ألف

أقصوصة تحكي لي حكايا عينيك، وألف مثلها تحكي لي كيف أحببتُكِ، لمّا وصل بي خيلي إلى ظاهر مدينةٍ غريبةٍ علمتُ أنها غرناطة، خفتُ أن أرى آخر أثرٍ لنا هنا، لكنّي لم أمضِ، هربتُ!

خطا بي الأدهم المتعب إلى القاهرةِ، ابتسمتُ بحزنٍ يضاهي حزن المدينة القديمة، سرتُ في شوارعها، ودخلتُ مساجدها، ولعبتُ مع سمائها، لكنّ النجومَ خانتني ورحلت، والقمر خاصمني وأفل، تركتُ الجميع ودخلتُ للمسجدِ الذي خطونا داخله يومًا، بناه الحاكم ذات يوم من ألف سنةٍ، وأخبرتُك لأوّلِ مرةٍ أنّي أحبكِ عند أسواره القديمة.

هذه باقة وردٍ لكِ مني، كل رائحةٍ فيها تحمل لكِ حكايا لا تعرفينها، وأنا هناكَ أنتظر، أنتظرُ يومًا تدفنين وجهك في صدري معتذرة حتى أحكيَ لكِ، أنا أحبّك والسلام.

يا محرابي

صباح الخيرِ يا محرابي، جميلتي النائمة ..

فكرتُ الليلة أن آخذك من يديك الناعمتيْن وأطوف بكِ، أضيفُ الجَمَالَ على الجَمَالِ، نهيمُ معًا في طرقاتِ القُدْسِ القديمة قدم الجمالِ ذاته، ونزور ليل أَصْفَهَانَ إذْ يشهقُ الجَلالُ مِمَّا يَرى، وتضمنَا أسوارُ الحَمْرَاءِ هُناكَ بعيدًا عن الصَخَبِ والبَرْدِ والخَيْبَةِ، وتشهدُ على لقاءاتنا رمَالُ صَحراءٍ باردةٍ تحملُ على ظهْرِهَا جَمَالًا يُدعى سَمَرْقَنْد، أو تحكي دِمَشْقُ للمَارِّيْنَ عليها أن حبيبيْن هنا في الطرقاتِ قد خجلت البلابلُ من لقائهما، وتُغلق علينا بَغْدَادُ أبوابَها الأَرْبعة غَيْرَةً علينا من العَابِرِيْن.

لكني لا أعلم ماذا حدث، أعلم فقط أني أحبّك، نظمتُ فيكِ شعرًا وأنا لا أعرفه، وكتبتُ عنكِ ألف كلمةٍ وأنا أعلم أنكِ لا تقرأين، أخبرتُ الجميع من أنتِ وأنا أخجل من أن أنطق باسمكِ، كنتِ معي كما أحب وكنتُ لكِ كما أحببت. لكنّكِ قررتِ فجأة أنه يكفي.

لا أعلم هل اكتفيتِ منّي، أم اكتفيتِ من حبّي لكِ، أم أنّكِ رحلتِ للأبد، كل ما أعرفه أنني أنا وأنتِ كنّا معًا، نقاتل الدنيا معًا، ونحارب القسوة سويًا، ونصنع الجمالَ جنبًا إلى جنب، لكنّي الآن أقاتل وحدي، أحارب قسوتَكِ أنتِ، أشاهد الجَمالَ ولا أعرف كيف يُصنع.

أعلم فقط أنّي أعجز من أن أقاوم، كالذي يريد أن يهرع إليكِ ليقولَ لكِ النجدة! لقد تركتني حبيبتي وغابت، وأعلم أني مسكينٌ جدًا، مسكينٌ لأنّي ولدتُ وحيدًا بعد ليلة طويلة عذبتُ فيها أمّي أشد عذاب، مسكين لأنّ أبي لم

يجدْ فيّ أيّ شيءٍ كان يحلمُ بهِ لنفسه ولبنيه، مسكينٌ لأني توسلتُ الحبّ وخسرتُ الصداقة وحاربتُ ولم أرتحْ، مسكينٌ لأني حاربتُ طويلًا ولم أهنأْ، إنما قيل لي حربك لم تنتهِ أيّها الأحمق، خضْ حربًا أخرى لألف عام وربما لا تفلح، ستكونُ حربًا شديدةً لأنّك تحاربُ ألمكَ الخاص، مرضكَ وحدك، يأسكَ وحدك، وانكسارك وحدك.

كلّ هذا في غفلةٍ من الزمن، في سرقةٍ من الحياة، في خوفٍ من الحبّ ووجل من الحرب، في حبٍ لم ينتهِ، وحربٍ لم تقفْ، في انكسارٍ لم يُنسَ والتئام جرحٍ لم يحدث، كل هذا لأني مسكينٌ يا رائحة الورد.

قالوا لي أنتَ لا تُحسنُ الكتابةَ إلا عن الحرب، لم يعلموا أنّي كتبتُ عن الحبّ ألف ورقة منذ رأيتُ عينيكِ لمرةٍ أولى، ثُمّ كتبتُ عن بطلٍ سكّير لا يعلمُ من الأرض إلا أبوابَ الحاناتِ والدروب القذرة، ولمّا رآنا معًا ذات ليلةٍ ننظر إلى القمر صار عاشقًا.

لم يعلموا أنّي كتبتُ عن عينيكِ ألف مرة، لما كانتْ تُشبه السّيفَ ذات ليلة، وحين كانتْ تشبه الخيل الجامح ذات صباحٍ بعيد، ولمّا كانتْ تشبه أدهمَ عشقناه سويًا. ولم أخبرْ أحدًا إلاكِ أنّكِ كنتِ سببًا لكتاباتي الملحميّة. التي أحبّها وتحبينها معي.

أحسنُ الكتابةَ عن الحربِ لأنّ المرة الأولى التي تلاقينا فيها كنّا في حربٍ معًا، وحين تعاهدنا تعاهدنا على حربٍ معًا، وحين رأيتُكِ وحدنا كنّا في حربٍ معًا، فما لي لا أكتب عن الحرب؟

حين تعاهدنا كنتُ أعلمُ أنّي سأصل بكِ إلى النهاية، أو أموت دون ذلك. لكنّكِ قررتِ ألا نهايةَ سوى التي رأيتها وحدك، فعدتُ أكتب.

حين فعلتِ كتبتُ ألف مرة عن الفراقِ، كنتُ في روايتي بطلًا مجهولًا لم يعرفْ أحدٌ اسمه، أنظر للسماء وأتذكركِ، وأمسح على

رقبة الخيل وأتذكركِ، وأتنهد وأنا أسير على الرمال وأتذكرك. ربما كنتِ تمرحين مع صويحباتكِ وأنا أصارع حروفي. لكنّي أحببتُ هذا جدًا. كتبتُ لكِ ألف خطاب، ونظمتُ لكِ ألف بيت شعر، ووصفتُ جمالكِ الذي لم أره في ألف صفحة، ثُمّ جمعتُ لكِ هذا كله في شيءٍ تحبينه. حين تعودين يومًا ما سنرى كل هذا معًا، نقرأ كل هذا معًا، ثمّ نكتب ألف ألف مثله.

أحبكِ والسلام.

يا قُبلتي

صباح الخير يا قُبلتي.

سأكتب لكِ يا أميرتي الصغيرة كما طلبتِ، لكنّي لن أكتب لكِ رسالة، سأحمل إليكِ وردًا هنا، ينثر فوق قلبكِ عطرًا مميزًا لا يعرفه سواكِ. سأكتب لكِ في التاسعة صباحًا عن صخب يومي الذي أنساه مع أول رسالة منكِ، وأخبركِ عن تعبي في الثانية ظهرًا حين تحاولين قتل أناسٍ أبرياء بطعامك، وأحكي لكِ في السابعة مساءً عن فنجانٍ لم أتذوقه قط، فنجان قهوة أريده من يديكِ الناعمتين.

تفاصيل يومي العادي لا شيء، سوى أنتِ، وأنتِ، وضلعنا الثالث، وكثيرٌ من الصخب والضحك ومحاولة قتل إحداهن تبوء دومًا

بالفشل لأجلكِ وحدك. سأحدثك عن رأيي الذي يقـول أن هذا كله عبث، وأنني أستطيع أن أنسى العالم كله لو أكلتُ طعامًا صنعته يداك، وأخبركِ عن انطباعي الذي لم يهتم به أحد، سأقول لكِ أنني أحببت مكانًا لا لـشيء، إلا لأن أقدامنا وطئته معًا. أعلم أنكِ ستفهمين مقصدي رغم التشتت، وتفهمين كتابتي على عيوبها، أنا لست كاتبًا ويعجبني أنكِ تفهمين هذا تمامًا.

تعالي نتشارك الشغف معًا حينما أتحدث عن شيء أحبه، ونتشارك الغضب معًا حين تخبريننني عن شيء يُغضبكِ، سأحدثكِ عن شيء عابر غير مهم وستشاركيننني الإهمال والقفز منه إلى ما نحب، سأمرر لكِ ما أحجمت عن الحديث عنه مع إخوتي خشية الملامة، وتمررين لي ما تركتِ الخوض فيه مع صاحباتكِ خشية الفهم الخاطئ، وما أجلنا كتابته لنا أكثر من مرة.»

يا قبلتي

صباح الخير يا قِبلتي.

كيف حالكِ يا طفلتي؟ أنا أحبكِ. أخبريني مَنْ ذاك المعتوه الذي أخبركِ أنّي لا أضحك ملء شدقيّ، بل أفعل، إنّي أضحك من أعماق قلبي، أداعب طفلةً لها من العمر سنواتٌ أربع، وأركض ساعاتٍ طويلة وراء الكرة كالمجنون، ثُمّ أعود لأكتبَ عنكِ رسالة كلّ يوم. أحيانًا أضحك، أغازلكِ كما اعتدتُ واعتدتِ ثمّ أنام.

لكنّي حين أفيق من ضحكتي أدركِ أنكِ لا ترينها، لا تسمعين صوتها، حين أداعب طفلة عمرها سنواتٌ أربع أتذكر فجأة كيف كنتِ تغارين منها، وحين أفرغ طاقة الغضب في الكرة ويهللون لي، أضع أنا رأسي في الأرض أتذكركِ،

وحين أكتبُ أدرك أنّك لن تقرأيها هذا المساء. أنا أعيش، لم أفقد شيئًا إلا كل شيء، لم أيأس ولن أفعل، ولا أدري لماذا أكتب ما أكتب وأنا أعلم أن الكل سيقرؤه عداكِ، لكنّي أفعل. لكِ منّي كل ما تحبين، وسلامٌ عليكِ.

سلامٌ على من رأى جدارَ القلب يريد أن ينقضَ فاحتال حتى يقيمه، وعلى من رأى في قلبي شرخًا عميقًا فمد يديه يطيّبه، وعلى من غاب وهو يعلم أن غيابه قتلٌ وقسوته موتٌ وحكياته حياة. سلام على الحبِّ وعليكِ.

تعلمين أنَّي أُحبّك حدّ التعب.. حدَ الوقوف بوجه الجميع، وحدّ الصراخ في وجه من يقول أنّ هذا عبث، أكتبُ لأنّي أحبّكِ لا لأنّي أريد من أحدٍ أن يقرأ، والكلّ يقرأ إلاكِ.

كتبتُ لكِ ألفَ رسالة قديمة، وكلمتُ طيفك ألف كلمةٍ كل ليلة، ولم تقرأي رسالةً واحدةً أو يرد طيفكِ بكلمةٍ يتيمة. أرددُ لكِ أشعار

العربِ لأني أحبّها، ولأني أعرف أنكِ كنتِ تحبين مني أن أقرأ الشعر لكِ، وأن أكتبه لكِ، وأن أنظمَ لكِ حروفًا قليلةً نعم، بسيطةً نعم، لكنّها تنفذ من شغاف القلب حيثُ أسكن.

سأكتبُ لكِ ألف مرة أخرى، وأدعو ألف ليلةٍ أخرى، وأخاطبكِ بألف لغةٍ أخرى، وستعودين لي يومًا، تعاتبينني على كل شيء وأغفر لكِ كلّ شيء.

أنا أحبكِ والسّلام.

يا قبيلتي

صباح الخير يا قبيلتي

كيف حالكِ؟ أنا أحبكِ. لكِ مني خمسةُ أسرارٍ وسبع قبلاتٍ، وألف ألف بيت شعرٍ وحبٌ لا ينتهي، دعينا فقط نخبر العالمَ أننا معًا، ونقول للمجانين نحن سبقناكم، ونخبر المحاربين أننا لم ندع السّيف، ونهتف للسماءات أننا حلقنا أبعد منك، وننادي الأقمار أن جمالكم لا يساوي جمالَ الهمسِ الذي كنّا نصنعه سويًا، ونحكي للرمالِ حكايا لم تعهدها قط، ونخبر الجوّابين أننا لا نريد أكثر من هذا، أنا أكتب فهل تقرأين؟

لا أعلمُ ولا يهمني إنْ كنتِ تقرأين وتخفين عن الناس أم أنّكِ لا تقرأين ولا تصل إليكِ

زفرات يهلل لها المعجبون ولا توجع سواي، يا حبيبةَ القلب القتال ضارٍ وأنا متعبٌ أريد راحة لمرة أخيرة، راحة أسكّنً فيها وجعي صدركِ وأنسى الألم للأبد.

أخبركِ سرًا؟ لم أحب الغياب قط، ولم أسع إليه ولم أفهمه، حتى لما هاجر والدي أيامًا طويلة لم أفهم ماذا يعني الغياب، كنت طفلًا أيامها فلم أفهم الغياب، كنت أسير في الطريق وأنا أعدو وراء القمر أحب أن ألحق به ولم أفلح. لم أذق معنى الغياب إلا بعد ثمانية عشر عامًا من الحياة حين فقدتُ صديقًا شرخ في جدار روحي شرخًا يتسع حتى اليوم، كأنها كانت حبّات عقد انفرطت وراء بعضها فذقت غياب الموت مرارًا، لكن لم أعلم معنى للغياب إلا حين فارقتني.

كان غيابًا قاسيًا جدًا والأقسى كان لأنه منكِ، وكان أليمًا جدًا والأكثر إيلامًا أنه كان منكِ، وكنت مسكينًا لأنني هنا ولا أجدكِ، كلَّ هذا كان شرخًا في الروح يتسع ولم أستطع أن أجعله يلتئم قط.

كنتُ أراكِ تنظرين من بعيد كفتاة تنظر لأبيها يصارع الحياة لأجلها أو أمٍ تنظر لابنها وهو ينظر بهلع لقسوة هذه الدنيا، وحبيبةٍ تنظر لحبيبها يحارب ألف مقاتل لأن أحدهم نظر لعينيها، كنتُ أراكِ تنظرين إليّ تبتسمين ولا أعرف أبتسامة استخفاف أم حزن.

ثم وليتِ وأنا في أعتى موجةٍ أصارعها، أستنجدكِ بعينيّ ولا تنظرين، وأصرخ بصوتي صامتًا ولا تخاطبينني وأشتد بساعديّ ولا تحتضنيهما. وليتِ وأنا أحبك، وحفظت معنى الغياب وما زلت أحبك، وغبتُ في الحزن وما زلت أحبك. وسأظل أحبكِ، والسّلام.

يا حكايتي

صباح الخير يا حكايتي.

أنا أحبك، كيف حالك؟ لا أدري لمَ أشعر الليلة أنكِ أجمل، وأنك ستعودين لي، كانتْ الحياة صراعًا هائلًا، وكنت أنا متعبًا جدًا، ولم ينتبه أحد إلى ذلك الوجع المخبوء بين ثنايا الضحكات المجلجلة سواكِ، ربما لهذا أحببتكِ. كنت وحيدًا جدًا، بالمعنى الذي خلقت الكلمة لتعنيه، وحولي أسوار ظللت أشيدها لمدة عشرين عامًا، ولم يستطع هدم الأسوار وإنقاذي سواك، فربما أحببتكِ لهذا. كنت مسكينًا، متعلقًا بحبال مهترئة بالحياة، لا أحبها ولا أتوق لعيشها، ولم يستطع سواكِ أن يجدل من شعره الأسود حبلًا ليربطني بالحياة إلى الأبد، فلربما أحببتكِ لهذا،

حكاياتنا الصاخبة، ضحكاتنا المكتومة، نظراتنا المتحاشية، عباراتنا المبتورة، مشيتنا المتقاطعة، قلبانا المتنافران، عقلانا المترابطان.. هذا نحن في الواقع. أنا وأنتِ، ومئات الآلاف منهم، وعشرون ألف لغة تقول أحبك، وقصائد لم أعد أذكر عددها، هذه حياتنا في الواقع. نحن العبارة غير المكتملة، الحكاية الناقصة من ذاكرة الجد الواهنة، نحن الحرب التي لم ينتصر فيها طرف، والمعركة التي كسبها الجميع، نحن بسمة رضيع عائد، ودمعة أم ثكلى. نحن كل شيء ونحن اللاشيء معًا، وأنا أحبك.

وأنَا محاربٌ، لم أتركْ السّيفَ إلا قليلًا، تركتُه يومَ أنْ أمسكتُ بقلمي لأكتب لكِ. لم أتوقف عن الصراخ قط، توقفت فقط لمّا نظمتُ فيكِ شِعرًا. لم يكلْ ساعدي لكنّه ملّ من كثرةِ كتاباتِه التي لا تقرأينها. أنا أحاربُ لأنّي ولدتُ محاربًا، وأنتِ تتجاهلين حربي لا أعلم لتجاهلك سببًا،

أنا أقاتلُ لأنّ جدّي قال لي يوم أعطاني سيفه أن خذه بحقّه وإلا فدعه، لكنّي لا أعلم أيّ روحٍ تلكَ التيْ أخبرتْكِ عني سوءًا حتى ترحلي في ليلةٍ حمقاء مثلك.

أنا هنا أقاتلُ الذكرى والخوفَ والحبّ ولا أعلمُ عنكِ إلا أنكِ تقاتلين في معركةٍ أشدّ غباءً منكِ، أنا أحبكِ والسّلام.

الرسالة التاسعة

إنه الشهر التاسع لنا سويًا، يا إلهي!

كان شهرًا صاخبًا كعادتنا، شهر آخر غابت فيه النجوم عن السماء ثلاثين مرة، كنت مختبئًا في أغلب المرات في أضلعك أعد نجومنا الخاصة. شهر جديد عدّتْ فيه السماءُ ثلاثين شروق شمسٍ كنتِ في أغلبها تهدهدين نومي المتقطع كأم رؤوم وجدت طفلها بعد تيه.

كان شهرًا له مذاقه الخاص؟ نعم، نعم جدًا. سأبوح لكِ ولا يمكنك أن تغضبي من بوحي أليس كذلك؟ رأيتُ فيه حبيبة لم أرها قط وأظنني لن أراها أبدًا مرة أخرى، رأيت أنكِ قد تضطرين يومًا لغرز سكين الفراق في قلبينا معًا لو أننا فشلنا في صراعٍ ما مع الحياة، ورأيت

أخرى قاسية كانت تعرف أن بيني وبين النوم ما صنع الحداد لأجلها وحدها وكانت هي تلملم نياط قلبها الممزق هنا وهناك، ومع ذلك لم يمنحها كبرياؤها الموافقة أن تضمني وتضم نفسها إليّ ونسكن سويًا. أنا أعلم تمامًا أن وراء هذا الكبرياء قلب هش، وروح حبها متقد، وعقل يهفو إليّ أنا وحدي. يا لقسوتك!

رأيت فيكِ أمًا، لطالما قلتها أنتِ وصدقتها أنا، لكنها أنا لم أرها أصدق من المرة الأخيرة، كنتِ أمًا لي فعلا، لكنكِ كنتِ أمًا قاسية ليس رؤومًا كما اعتدتك. كنا ممزقيْن معًا، وجذبت الخيوط التي كنتِ متعلقة بها حتى خرجنا من البئر سويًا وأخذتك في أضلعي أهدهدك.

رأيت فيكِ دلالًا لم أره قط! كنتِ تتدللين عليّ وأنتِ تعرفين أنني أحب دلالك وأهفو إلى رضاك. رأيت فيكِ الحبّ والقسوة معًا، الأم والند سويًا، القلب والعقل جنبًا إلى جنب، رأيتك في الشهر الأخير كما لم أرك من قبل. وأحببت كل

هذا، لكني لم أحب القسوة قط، أعترف أنني صرت أخشى قسوتك جدًا، وصرت أتحاشاها، ربما لا يعجب كثيرًا من الرجال أن يعترفوا هذا الاعتراف، لكنني لست مثلهم.

سأخبرك سرًا ليس بسر، أنا أكره ضعفي كالجحيم، كما تكره الأنثى رجلها القاسي تمامًا، لو أن قلبي ضعف يومًا ما سيكون أهون عليّ أن أخلعه وأضعه تحت قدميّ، أكره ضعفي لدرجة أني صرت أمقت إحداهن رأتني معك وأنا لا أستطيع إدخال الهواء صدري. مات صديقي وأنا لست جواره ولم أبكه قط! أكرهت نفسي على بكائه علي أنفجر ولم أستطع، وبكيت بسببك مرتين، كل هذا ليس سرًا، السر أنني أحببت ضعفي هذا معك! أحببت أن يظهر جزء مني في أضلعك لم يظهر لسواكِ، لكن أخشى كالجحيم أن أكره ضعفي معكِ. إيانا أن نصل إلى هنا، أرجوكِ!

مائتان وسبعون يومًا، لم أنم فيها بصدق إلا بين أحضانك، أواه! لم أعرف أن للحب نارًا ممتعة كهذه، صرت أخشى أن أعدك بشيءٍ لكن تعالي نحارب كل شيء وكل أحد يقف في طريقنا، تعالي، وراء ظهري وقفي، أقسم لك لن أطلب المزيد قفي في ظهري فقط، وتعالي آخر الليل ضعيني كلي في جسدكِ، فقط ما بين نحرك وسحرك ودعيني أضيع هناك، لا أكثر. كتف في ظهري، وأضلعك آخر الليل، وسأحارب كل شيءٍ ونفوز بنا!

دعيني يا رفيقة السحائب الماطرة أخبر الجميع أنّنا نحارب معًا ونحكي معًا ونعيش معًا وأخبركِ كلَّ يومٍ سرًا جديدًا. أنا أحبكِ والسلام.

يا فاتنتي

صباح الحبِّ يا فاتنتي.

أنا أحبكِ، كيف حالكِ؟ هلّا أزحنا الثواني جانبًا وحكيتُ لكِ حكايةَ أخرى بطعم الحبِّ؟ لمّا انتهت المعركةُ كنتُ أنا على مشارف الرحيل، كانت الحياة تهرب منّي مع دمائي، وأنا أراكِ تسيرين إليّ متهاديةً تحاولين الوصول ليدي الممدودة قبل أن يفعل الموت، جوّ ممتلئ بالموتِ في كل ألوانه، القنَا تحمل الموت، الحواسم تحمل الموت، ورسلُ ملك الموت تحمله إليكَ في السّهام، وأنتَ عاجزٌ تمامًا أن تفعل شيئًا أن تقول لا، لا شيءَ لديك إلا القتـال، لا شيء أمامك سوى السّيف، تقبض عليه بيديكَ تحاول أن تتشبث بالحيـاة، وتقبض على قلبك الذكرى تحاول أن تدفعك إلى الموتَ أكثر.

الغبار يعلو إلى عنان السّماء بطيئًا كأنّه يشكو إليها هذه الحرب، وصوت السّيوفِ يبتعد أكثر فأكثر، وصوت الحبّ يعلو أكثر فأكثر، كانت تسير إليّ وتحمل في عينيها نظرة أمٍ رحيمة ترجو نجاة ولدها، ونظرةِ طفلة تحبّ تشبث أبيها بالحياة، وصلت إليّ وأنتِ تبتسمين، التقطت يديّ بين يديكِ الدافئتين، كنت ترتجفين وتخبئين ارتجافتكِ، تستمدين القوّة مني وأنا جريحٌ أنازع الموت، تؤمن نفسكِ بجسدي وأنا مسكين أجاهد لأتنفس، مسحتِ الغبار عن وجهي وقبّلتِ جبيني، واحتضنت وجهي بين راحتيكِ وأنتِ تمسحين الغبار والعرق والدمَ عن وجهي، وتمسحين الانكسار والخوفَ والرعبَ عن روحي، وتمسحين الارتجافة والبغض عن قلبي.

كنت جميلة جدًا كما كنت دومًا، لكنّكِ اليوم أجمل، كانت عيناكِ تعتذران لي،

وروحكِ تدفع في دمائي روحًا جديدةً لأقاوم الخوفَ والموتَ، همست لي أنّي أحبّك فلم أستطع الابتسام، مسحت عن لحيتي الغبار وأخبرتني أنّي أعشقك فلم أستطع أن أنظرَ إليكِ، قبّلت يديّ أني اشتقت إليك فعجزت أن أربتّ على رأسكِ كما اعتدت منّي، كنتُ ميتًا إلا قليلًا، وكنتِ تدفعين فيّ الحياة مجاهدةً ألا أسقط أبدًا.

أحببتُ هذا منكِ جدًا، لكنّي لم أستطع أن أنطقَ لكِ بكلمةٍ واحدة، أحسستُ أنّي فقدتُ كلَّ شيءٍ تقريبًا عداكِ، أحسستُ أنّي عاجزٌ تمامًا، قبل أن تأتي كنتُ صلبًا جدًا، قاتلتُ أربعةَ آلاف يوم ولم أسقط، وحين فرغتْ مني الحياةُ وأرادتْ الرحيلَ كنت قويًا كما عهدتُ نفسي، لكنّي حين رأيتُكِ للمرة الأخيرة وسط الأسنة أحسستُ أنّ فيّ القوةَ كي أنقذكِ من الأسنّةِ والسنان، وحين رأيتُ في عينيكِ رغبةَ أن تنقذينني ممّا أنا فيه همدتْ حركتي تمامًا، وأحسستُ أن تعبّ الأيام الماضياتِ قد تكالبَ على روحي فجأة.

سقط رأسي على صدركِ فأحسستُكِ تضمينني أكثر، تشبثتُ بك فأقمتني تسنديننني كأمٍ تعلّم ابنها المشيَ من جديد، حملتني بين ذراعيكِ وسارتْ بي سيرًا بطيئًا خفيفًا، يبتعد عنّا صوتُ كلِّ شيءٍ إلا صوت قلبينا، همستُ بضعفٍ أنّي أحبّك فهمست بصوتٍ أضعف احفظ طاقتك فالطريق طويل، يا الله! كم أصبتُ حين اخترتُكِ محاربةً مثلي، كنت طيلة حياتِك عظيمةً جدًا في قتالها، ولمّا اخترتُكِ لتكون بجواري علمتُ أنّكِ ستكونين معي إن سقطتُ يومًا، يومًا كهذا.

لمّا غابتْ الشمسُ وفرضَ الليلُ نفسه بقوّة كنّا قد ابتعدنا جدًا عن الميدان، نظرتُ نحوه بحزنٍ شديد، فأوقفتني وقلت لي أن ميدانَ معركتنا أعظم تعالَ فلنحاربْ فيه سويًا، نظرتُ بحزنٍ أنّي كنتُ معكِ وكدتُ أن أفقدكِ

وتفقديننني، فضممت رأسي إليكِ أكثر أنّي سأعتذر إليكَ كما ينبغي، كدت أن أسقط من شدةِ الإعياء وأسقطكِ معي، أخبرتُكِ أنّي أحبكِ والسلام.

يا عزيزتي

يا عزيزتي.

الحبُّ ساكن لا يتحرك، ومتحركٌ لا يهدأ أبدًا، وبساطة في منتهى التعقيد، وتعقيد بسيط على كل ذي عقل، قطرة مطر تسقط على قلب يبس أو كاد فتصيب سويداءه فينبت فيه كلُّ جميل، وردة بيضاء جميلة، يرى أثرها من مسيرة ألف عامٍ، وردة بلا شوكٍ في حقل صبار مقيت.

يا رفيقتي.

أبدأ رسالتي لكِ كعاشقٍ صامت وأنهيها كطفلٍ تائه، وفيها أحكي ما لا أستطيع أن أبوح لكِ به في وصلٍ أفتقده، فيها حبٌ وعشقٌ وحياة وحرب، وفيها أنتِ وغزل بك وفيكِ

ومنتهاه إليك، يا روحَ الحبّ أنا رجلٌ قويٌّ جدًا، ما زلتُ أحاربُ لأنّ مثلي لا ينبغي له أن يُسقط رايةً أمسكَ بها. وأنا رجلٌ ضعيفٌ جدًا لا أجد لي مأوى آخر الليل حين تهدأ المعركة داخلي. أنا رجلٌ قاتلت الحياة حتى انتصرتُ، وقاتلتني الحياةُ حتى انتصرتْ. كلّ يومٍ أنا سعيدٌ جدًا أضحكُ كأنّ لا شيءَ في حياتي سوى الضحك، وأبكي كأنّي خلقت للبكاء، كل ليلةٍ أنا عابدٌ أدعو الله بحرقةٍ، وشاعرٌ أتغزل في عينيكِ كما كنتِ تحبينني أن أفعل، أنا رجلٌ نرجسيٌّ جدًا، أحبّ أن تكوني لي لأنني الأفضل، لأنني الأقوى، لأنكِ لن تجدي من يفعل ذلك مثلي، ورجلٌ مسكينٌ جدًا لأنني لم أدركْ كيف لي أن تكونين لي حبيبة!

يا غاليتي.

هُنَا كلُّ شيءٍ يُذَكّرني بكِ، قلبكِ يحمل نفسَ صفاء الليل، وعيناكِ بسواد السّماء، وثغركِ حين تبتسمين فجأةً كأنّ الشّمسَ

أشرقتْ بعد أيامٍ عاصفةٍ سوداء، قاتلتُ ألفَ فارسٍ ولم يطرف لي جفن واحد، لكنّكِ حين تنظرين إليّ كانت عيناكِ تزلزلان الروحَ والجسدَ معًا. كنت مسكينةً جدًا وخائفةً جدًا، لكنني أعلم أنكِ أحببتني جدًا.

يا مسكينتي.

أنا قويٌ جدًا، هشٌ جدًا، أحبكِ جدًا والسّلام.

يا حُبّ

صباحُ الخير يا حُبُّ..

كيف حالكِ؟ أنا أحبكِ وأريد أن أخبركِ سرًا، أنا لم أغب عن الطريق قط، ولم أترك سيفي يومًا، وحين نزلت عن خيلٍ أحبني نزلت فقط لأني أريد أن أوقد نارًا وأكتب فيكِ شعرًا وأحكي للمارين حكايتنا. لم أضيع طريقًا أو أخذل سيفًا أو أنسَ حبيبة، كنت هنا لأني أحببت فقط، وحين فعلت وأحببتُ أحببتكِ وحدك، أعلم أنَّكِ تعرفين هذا لا تريدين عليه دليلًا، لكن لمَ أشعرْ أنني أريد أن أذكرك بهذا دومًا؟

يا حبيبتي إني عاشق، ولأن جدي ربانيٍ محاربًا، ولأن التاريخ غرس حبه في قلبي صغيرًا ثم رحل، حين زرت أسوار المدينة القديمة

ارتجفت الارتجافة الأولى حين مرق السهم أول مرة وغفا العقل أول مرة وذهب العناد أول مرة، وقلتُ أحبكِ أول مرة. ولا أعلم أكانتْ قسوتُكِ هذا لإخفاء قلبٍ مسكينٍ أم لأنكِ تتلذين بتعذيبي؟

يا رفيقتي سوف نحكي، نحنُ نحب الحكايا جدًا، ربما لأننا خُلقنا حكّائين، أو لأن الجدّ حين شببنا عن الطوق كان يجلسنا حول النيران يحكي لنا حتى يغيب القمرُ خلف الجبل الأسود البعيد، حكى لنا حكايا الحرب والحب والمجد، كان يحكي خائفًا، مُحبًا، حالمًا، وكان يخبرنا أنّ يومًا ما سيأتي يحمل لنا السّيف لنحارب، ولن يطفئ قيظَ الحرب إلا بردُ الحكايات.

حين كانوا ضجرين من حر الصّيفِ كان جدّي يحكي لنا حكايات ليل الشتاء الطويل، يخبرنا أن الحب والشتاء قرينان، لا يفهم اقترانهما إلا حبيب، وحين كانوا مختئبين من زمهرير الشتاء حكى لنا جدي حكايات

الحرب، بها قيظ يدفئ نفسكَ حتى تسكن، لمّا خافوا من الليل حكى لنا جدّي حكايا النور الذي يشع من ثغرها، ولمّا هربوا إلى النّهار حكى لنا عن سواد عينيها الحالك.

كان رجلًا عجوزًا هزم الزمنَ بوجهه المجعد وصوتِه البعيد وحكاياته التي تصبّ الجمال في أرواحنا، عشتُ معه ألف حياةٍ حول نيران الشتاء وفي الزورق القديم على صفحة النّهر الهادئ، رأيتُ القدامى يحملون السّيوف صارخين فوق جيادهم، وعشتُ مع الملثمين في جحور القدس المسكينة يوم أن رفعوا على الربوة الشمالية راية تحمل وسطها صليبًا أحمر كبيرًا، سمعتُ صيحات الجناحر الغاضبة حين غاب كل شيءٍ حتى الإيمان، وهربتْ الحيوانات من الجحور إلى أرضٍ بعيدةٍ جدًا.

حين أطبق العجوزُ فمه للمرةِ الأخيرةِ خسرتُ كلّ شيءٍ، الحكايا، والحب، والحرب، والحلم، صار الصّيف قائظًا جدًا، والشّتاء باردًا

جدًا، لم أعد أرى نهايةً لأيّ ليلٍ، ولم يمرْ نهارٌ واحد منذ أن غيّبنا جسده في شقٍ من الأرضِ في صباحٍ ذي شمسٍ باكية. ولا طريق لنا إلا الحكايا، سوف نحكي حتى يصيرَ الصغارُ حكّائين، ونرسم وجه العجوز على قلبِ كلِ طفلٍ يحبّ الحجارة والحياةَ والنهر المسكين، وحتى أصلَ إليكِ أخبركِ أن كل هذا الجمال إنما هو بضعة منكِ ليس إلا.

يا غاليتي الموتُ حبٌّ بطريقةٍ ما، ربما يعجّل لقاءً لن تحمله صفحات الأرض أبدًا، ولن تشهد عليه السّماء مهما عشتَ من قرون. الموتُ حياةٌ بشكلٍ ما، حينَ يقرر الموتُ أن يضع حدًا لطاغيةٍ أو مجرمٍ. الموت حربٌ لا تستطيع أقوى الجيوشِ أن تقف أمامه وتجابهه. الموت خيل هرب من خلف السّدِ يوم أن غابت الشمس. الموت ثورةٌ حين تلتهب حناجر الثائرين يأتي وراء الصرخات.

الموتُ آتٍ لا يَنتظر، وراحلٌ لا يُنتظر. الموتُ جَمالٌ بشكلٍ لا تكفي حروف اللغة لوصفه.

الموتُ ليلٌ، ظلامٌ وخوفٌ وبكاءٌ ووحدةٌ ونجمٌ بعيد فقد نوره للأبد. الموت صحراء جافة تسير فيها ألف عام لا تجد بها ماءً وإن كان سرابًا. الموت عِشق لبعض المجانين، حين تلمع الأسنّة يهرعون كالعطشى لحياضِه. الموتُ جنون، صفاء، خوف، حياةٌ، دماء، وربما كان نجاةً. وفوق كل هذا الموتُ هو عيناكِ الصافيتان حين تنظران لي بحبٍّ ثم تغيب في الزحام.

أنا أحبكِ والسّلام.

يا طفلتي

صباح الخير يا طفلتي.

إنني الآن في صباحٍ باكرٍ جدًا، يحمل رائحتكِ التي اعتدتها جميلة دومًا، ويحكي لي عن جمالكِ الذي صُبَّ فيكِ وأخذته منكِ الخلائق بعد ذلك، ويروي للقمرِ الغائبِ كيف أنَّ كلّ حُبٍّ لم يمرْ على قلبكِ ليس حبًا. أنا أريد منكِ عناقًا مختلفًا، إن الروح تعانق الروح، والقلب يعانق القلب، والعيون تعانق العيون، لكنني أريد عناقًا أشدَّ ولا أعرف كيف، أريد عناقًا أكثر حرارة ولا أعرف كيف، أريدُ عناقًا يجعل جسدينا وروحينا وقلبينا شيئًا واحدًا لا ينفصل.

في هذا الصباحِ أنا سألتُ القمر عنكِ قبل أن يغيب، ابتسم ابتسامة الحزين الذي فقد عرشه وقال أنّكِ تسكنين صدري، علمت حينها ألا حياة تكون وأنتِ لستِ هنا، أعلم أن الليل استمد جماله منكِ، والحبَّ استمد ضوءه منكِ، والنّار استمدتْ قوتها منكِ، والروح استمدتْ توقدها منكِ، أعلم أن كلَّ شيءٍ يبدو ضبابيًا خافتًا، وأن الحكايةَ التي تعاهدنا على كتابتها معًا على رصيف قطار أحمق في شتاءٍ باردٍ قاسٍ تذهب منَّا أدراج الرياح، لولا بقيّة من قوةٍ سكنتْ القلبَ فقررتُ ألا أسقط الراية أبدًا.

يا فاتنتي إنني تعلمت من رجلٍ حاربَ الدهرَ حتى هزمه ألا أسقط رايتي أبدًا، وأن أدخل الحربَ إذا دخلتها وأنا أعلم ألا شيءَ هنالك سوى الانتصار، أو الموتِ في سبيل ما حاربتُ له، وأنا يا عزيزتي في حربي لكِ لا موتَ، هو نصرٌ أو نصرٌ أو نصرٌ.

يا أعجوبة الحبِّ أعلم أن حكاياتي عن الحربِ صارتْ كثيرة وقد تمّلينها، لكن ما ذنبي إن كنت قد حكمت علينا بالقتال حتى الرمق الأخير؟ وإن كنتُ أنا مسكينًا لا أعرف أن أكتب إلا عن الحربِ والحبِ وأنتِ؟!

أنا أعرف ألا أحدَ سيفهم ما أكتبه إلاك، ولا أحد سيشهق من الانبهار سواكِ، لكن أينَ أنتِ لتقرأي ما أكتب من شهرٍ مضى؟! ولمَ أشعر أن اليومَ الذي ستقرأين فيه هذه الرسائل هو اليوم الذي ستكونين فيه في صدري معتذرة عمّا مضى، طالبةً منِّي قبلة حبٍ وقبول اعتذار؟

يا مسكينة الفؤادِ إنكِ مثيرة للشفقة أحيانًا، تجاهدين لتقولي للعالم كله ما ليس في قلبكِ، ولا أعلم هل تفعلين ذَلك إمعانًا في إيلام قلبكِ أم قلبي أم قلبينا معًا؟ إني أعلمُ أسراركِ كلها، حتى تلك التي تخبئينها عن صويحباتكِ اللاتي يحطن بكِ أعلمها، حتى التي لا تجرؤين على النطقِ بها أعلمها.

أخبركِ سرًا؟ ذات ليلة صاخبة من لياليا تركتني ونمتِ، كنت أنا تائهًا لا أعرف كيف أصنع حين أخذتني قدماي لتراب قبر صديق ما، أخبرتني البلابل هناك أن أذهب إليكِ بصمتٍ وأضمّك بسكون أكبر. فعلتُها، جئت إليكِ صامتًا، كانت ليلة ليلاء، ليلة حزينة تركت آثارها علينا معًا، أتيتُ حيث ترقدين وضممتكِ حتى انقطع نفسكِ، أحسست أن عينيك ذابلتان من شدة بكائكِ، أخبرتُ الجمال الذي يسكن عينيك أنّي أعتذر فلم يرضَ مني إلا بقصيدة غزلٍ أنظمها. لا أعرف كيف أكتب الشعر ولا أنظمه، أعرف كيف أضمُّ حبات اللؤلؤ في خيطٍ من حبٍ وأزين به جيدكِ ليس أكثر.

عاتبتُ جمالَ عينيكِ أنَّي لا أعرف، فأخبرني أني لو كنتُ محبًا لفعلتها دون أن يطلبَ هو، عاتبتكِ وأنت غائبة في النّوم أنت تعلمين أنَّي أحبكِ فكيف أصنع؟ في النهاية استسلمت وأخذت

من كلِّ بستانٍ في اللغة وردًا يشبهكِ، حاولت أن أنظمَ بكل هذا الوردِ قصيدة ففشلتُ، ثم حاولتُ ففشلت حتى انقضى أكثر الليل، حينها علمني جمالكِ سرًا لا أنساه أبدًا.

قال لي لا تنظم من اللغة قصيدة لها، اجعلها هي قصيدتك. قلت له لم أفهم، فأخبرني أنني غبي. أمسكتُ بين أصابعي دُرًّا يضاهي جمالكِ وضممته إلى بعضه فخرج أقل منكِ جمالًا، وأخف منكِ حبًا، وأكثر منكِ قسوة. ثمّ تركتُك تحكين لي بأنفاسك المنتظمة قصيدة يتيمة وأمسكتُ أنا قلمي أجاري جمالكِ فيما يصنع، حينها علمتُ أنّه محق، الشعرُ أسهل ما يكون على المحبّ، هو لا ينظم كلماتٍ عجز عنها الأقدمون، هو يحكي تفاصيل حبيبته ليس أكثر، وحين يحكي ينظم جمالُ حبيبته كلماتِه شعرًا تارة وحكاية تارة أخرى.

أنا تائه وأعلم هذا جيدًا، وأعلمُ أنَّكِ تحبين كوني طفلًا لا يستحيي من طفولته معكِ ورجلًا

لا يخشى أن يقسم أمام العالم أنه غارق فيكِ حتى الثمالة. حبيبتي لم تقرأي لي منذ زمن وهذا ممّا يعذبني لو كنتِ تعلمين، لم أكفْ عن الكتابةِ لكِ قط، ولم أظن أنه سيأتي اليوم الذي تبثين فيه الحياة من جديد في حروفي التي كادت أن تهترئ. لا شيء جديد في هذه الحياة إلا أنّي أحبّك، ولا شيء أعظم من أن يُحكى سوى أنّي اشتقتُ لكِ، ولا شيء أفضل من أن أضمكِ إلى صدري فتنامين فيه.

ليلة الأمس ضممتُكِ إليّ حتى انتظمتْ أنفاسكِ وعرفتُ أنّكِ غبتِ في بحر من نوم لذيذ، تأملتُ ملامحكِ تلكَ التي طالما تغزلتُ بها، شعرتُ فيها بتعبٍ عظيم كأنّكِ خارجة من معركةٍ مع ألفِ فارس، وشعرتُ بحبٍ أعظم لم أفهم كيف تخبئينه، وشعرتُ بإرهاق لا ينتهي جراء جنونٍ لا ينتهي طيلة الليلة.

لم أحب جسدكِ وحده قط، أحببتُ روحكِ أولًا وزهدتُ فيما دونه، لكنّكِ تتفننين كيف

تجعليني أحب فيكِ كلّ تفصيلة على صغرها أو عظمتها. اشتقتُ لكِ كمّا ينبغي لمحبٍ أن يفعل، وضممتكِ إليّ كما ينبغي لرجلٍ أن يفعل، وغازلتُكِ كما ينبغي لشاعرٍ بليغ أن يفعل. لكنني حين أفقت من نومي لم أجدكِ جواري، تعلمت كل ليلةٍ أن أغازلكِ بما تحبين ثم أغفو في نومٍ متقطع بائس وأصحو لأبحث عنكِ جواري، ثم أنتبه لغيابك ولا أعلم لمَ يخيب أملي كلما وجدتُ جواري فراغًا لا يملأه أحد!!

أحبكِ لأنَّكِ مسكينة عشت حياتكِ كلها في حربٍ لم تهنأي بحياتكِ قط.

أحبكِ لأنني تائه من غيركِ.

أحبكِ لأن الحبّ كلمةٌ خلقت لنا وحدنا، ولا أخال أن يشاركنا فيها أحد.

أحبكِ لأنكِ حبيبة، وصديقة، وأمٌ، وعشيقة، وأخت.

أحبكِ لأنني محارب محب، وفارس عاشق، ومختال مسكين، وطفلٌ تائه.

أحبكِ لأن الحبَّ كُتبَ له أن يسكن صدري، ويلجأ إلى روحكِ، ويظهر للناس على أناملي.

أحبكِ لأنَّ وجهكِ بدرٌ انطفأت منه كل خيبة حين ظهرتُ أنا.

أحبكِ لأنني حكّاءٌ أتعلثم في كلِّ حكايةٍ إلا الحكاية التي أرويها عنكِ.

أحبك لأن الحبَّ - يا حبٌّ - لكِ وحدكِ.

يا حبُّ، هذه رسالة من ألف كلمة، صباحٌ مني لكِ يحمل حبًا وسلامًا ووردة.

يا عنائي

صباح الخير يا عنائي.

أكتبُ إليكِ وأنا مشتاقٌ لكِ جدًا، ربما تعجبين إن أخبرتُكِ أنَّي بحتُ للغةِ بشوقي لكِ فلملمت حروفها ورحلت معلنة عجزها عن وصف ما أريد! ربما تبتسمين تلك الابتسامة الساخرة التي أحبها إن أخبرتُكِ أنَّي حكيتُ للجدِّة المسكينةِ عنكِ فابتسمت نصف ابتسامة وضربت موضع صدري وهي تخبرني أنَّها تفقه ما أشعر به حقًا، ربما تذهبين بنظرك بعيدًا وفي عينيكِ تلكَ اللّمعةُ التي سقطتْ في غرامها حين أخبركِ أنّني حين غازلت القمر عنكِ استحيا وولى بعيدًا خلف النّجوم الساكنة صفحة السّماء الصافية، وربما - يا رفيقة القلب - تصدقينني حين أخبركِ صادقًا أنَّي مشتاقٌ لكِ جدًا، وأنَّي -يا حبّ- أحبكِ!

يا أعجوبة الجمال، في القلبِ غصّةٌ، وانقباض، وزيارةٌ قديمة لبلدةٍ أقدم، وخللٌ ما، وقلمٌ لم أفرطْ فيه بعد، وسفرٌ لم أنْسَه، وحُطام، ورحلة لما هو أقربُ إلينا من أجملِ العواصم، وفتاة لها من العمر سنوات ثلاث، وتاريخ، وحبيبة، وعمر، وروحٌ في جسدين، وزيارةٌ للشارع الأوّل في العاصمة المنهكة المتعبة، وجلسة على رصيفِ شارعٍ قديم قدمَ التاريخ ذاته، وسفرٌ في عربةٍ حملتْ لي يومًا ما كلمة -أحبك-، ورصيفُ قطارٍ شهد عهدنا الأول وحكايتنا الأولى و-أحبك- صادقة، وذكرى لمنضدة مطعم عرفناه قدرًا وعشنا فيه عمرًا طويلًا، وطعمٌ قُبلةٍ لم أحظَ بها قط، وتعبٌ من حكايةِ المعرضِ الأول والأخير، وفرحة عينيكِ حين أعطيتكِ هدية صنعتها يداكِ أنتِ، وإحساسٌ بخاتمٍ يزين أصبعي، وكل ما يشترك في هذا هو أنتِ.

ذاتَ يوم شديد البرد غابتْ شمسه ولم تطلع قط دخلتُ عربة القطار اليتيمة، كانت جوانبها تهتز وهي تأخذ الطريق إلى المدينةِ التي تحمل جنابتها أنفاسك في بطءٍ وخوفٍ، لم أكنْ أعلم قط أن رحلةَ القطار الصارخ بالرحيل في السابعةِ صباحًا في يومٍ من أيامِ ديسمبر ستحمل لي في طياتها حبًا ووجعًا لم أعهدهما قط، حين وصلت عند الظهيرةِ للمدينة الكبيرة كانت أول مرة تطأ قدماي كل هذا الجَمال القديم، وحملني قطارٌ آخر إلى مدينةٍ غريبةٍ عنَّا، ضعتُ في شوارعها ولم أعرفْ أنَّ ضياعي هذا سيحملكِ لي!

أتعلمين حبيبًا غار على حبيبتهِ من اللقاء الأول الذي لم يتحدثا فيه أصلًا؟ كان هذا أنا، ولا تسألي لماذا أحرقتْ نيران الغيرة دمائي وأنا لم أعرفكِ قبل هذا اليوم، لأنَّي أعلمُ كما تعلمين أنَّي لا أملكُ جوابًا، أنا أذكر تفاصيل هذا اليوم البعيد كذكري لتفاصيل كلمة -أحبك- منكِ، وأستعيدها كلما مر عليَّ وقتٌ

كبيرٌ، أتعجب من قدرة التدبير الإلهي التي تخرجني من أقصى الأرض لأقصاها حتى ألقاك، يا عزيزتي أأخبرك عن هذا اليوم سرًا؟ هذا يومٌ لم يبقَ من تفاصيله شيءٌ واحدٌ سوى أنا وأنت وكتابٌ حمل اسمينا معًا! ولا أعرف هل هذا قدرٌ أم أنه ابتلاءٌ خاص لي!

حين أخبرتُ نفسي أنَّي أحبك وليتُ منّي هاربًا، أنا أعرف أنني أخبرك كل ما تعلمين، لكن غيابك عنَّي جعلني مشتاقًا لحديث يحمل رائحتك أيًا كانت! لمّا وليتُ هاربًا صفعني قلبي، قال لي ألم يربكَ الرجلُ العجوز على القتال حتى تبلى أو تصل إلى ما تريد؟ أخبرته أنَّني لا أطيق هذه المعركة صبرًا، ولو أنني خسرتُها لأخسرنّ كل شيء، أخبرني أنّي جبان وهارب ثم صفعني ثانية فسكتُّ ثم صفعني الثالثة فسكتُّ ثم رأيتُ صورتك فسقطتُ صريعًا، أخبرتُه أني أعشقها، لما قال لي إذًا ضمّها إليك حاولتُ فأخفقت فرحل عنّي، وصار كلَّ ليلة لي عادةٌ لم أنسها قط، أنظر إلى عينيك حتى أغيبَ.

في ليلةٍ نثر فيها الجَمَالُ الدُرَّ المتلألأ في صفحة السّماء الواسعة الكحيلة طلبتُ من أدهمنا سرًا أن يجول بي الصحراء الواسعة البعيدة، نفضَ عن عينيه النُّعاسَ وصهل عاليًا كما تحبين تمامًا، ثم جال بي حتى بلغ منَّا التعب ما بلغ، تنهدتُ فصهل صهيلًا خافتًا كالذي يفتنك، قلتُ له أنَّي أشتاقها فسكتَ وراح يحكُّ طرف البساط الأصفر بقدمه، علمتُ أنَّه يشتاقك أيضًا، ويشتاق تلك الليالي التي كنتِ فيها فارسة لا يُشقُّ لكِ غبارٌ ولا ينكسر لكِ سيفٌ، كنتُ أعلم أنه يحبك كحبي لكِ ولا أدري لمَ أقبل حبه لكِ وأنا الذي أغار عليكِ منكِ، هذا أدهم عشقناه سويًا، ولعل في هذا ما يشفع له، ويجعلني أقبل حبه لكِ.

يا فتاة رجلكِ المدلل، أنتِ الحكاية التي نسيها الحكّاءُ الأكبر، والقصيدة التي تعلمها الشاعر اليتيم، والرواية التي كتبتها أنا، أنتِ صوتُ قطرة المطر التي اشتاقت لها الأرض

اليباب، وبسمة الطفل الصادقة لمّا أعطته الحياةُ ما يريد، أنتِ أديبةٌ لا تُبارى إن كتبتْ، وشاعرة لا تُجارى إن نظمتْ، أنتِ لحن الكون الأزلي، وجَمَالُ السّماء الأبدي، وضوء النُّجوم القديمة، أنتِ صوتُ السّيفِ إن تكسرت النّصالُ على النصال، وحفيفُ أغصان الشجر الذي نزل من الجنّة ليسكن الأرض، وضحكةُ أمٍ ثكلى وجدتْ أطفالها العشرة أحياء بعد القصف الأخير، أنتِ الحبُّ لو جاز لنا جمع كل ما تحمل هذه الكلمة من جمالٍ في حرفين لا أكثر.

يا صوتَ الحادي الشجي، وعطر الوردة اليتيمة، ولحنَ الشاعر القديم، وقلبَ النايّ المثقوب، وضحكة الحبيبِ الذي لقي وصلًا بعد انقطاع، يا ثغر السّماء الجميلة، وعينَ القمر الحزين، ورائحة العطر الآتي من الجنّة، يا روايتي التي لم أكتب غيرها، وحكايتي التي لم أقص سواها، وقصيدتي التي لم أنظم بعدها شيئًا، يا دُرة البحر العميق، ولطفَ النهرِ الساكن، واضطراب القلب الهادئ، يا ليلَ التمِّ، وحلمَ

الليل، وحديث النّهار، وقصة المساء، يا رفيقة النُّور الذي يسكن القلب، ورفيقة النَّار التي تحرق الكبد، وسُكَّرة الحياة التي ملأها المرُّ، وسَكْرة العمر التي لا انتباه منها حتى الممات، يا حُبُّ إني أحبكِ.

في مسيري نحوكِ أنا شيخٌ هزم الزمن، وشاب صارع الجميع وانتصر، وفارسٌ لم يبق سواه بعد حربٍ طاحنة، ومحارب لم يسترح منذ ألفِ سنة، وطفلٌ مسكينٌ يبحث عن أمِّه التي وعدته ألّا تتركه أبدًا ثم فعلت، ووعدُ جدٍّ رحل قبل ست سنوات، وعهد صديق سبق الجدَّ في الرحيل، ولطفٌ من الله الذي وعد كلَّ كسيرٍ بالجَبْرِ، وصديقٌ صادق، وحبيبٌ أمين، وربانُ سفينةٍ حطمها كل موجٍ أتى عليها، وغريق بحرٍ لا يرحم مسكينًا أو عاشقًا، ومقاتلٌ أحمى الحبَّ من ألف خطرٍ يحيطها ثم أنكفئ على صدرها أخبرها أني انتصرتُ لكنَّني خائف، أنا - يا طفلتي - مشتاقٌ جدًا.

أمَّا هذه فرسالةٌ أخرى سيقرؤها الجميع عداكِ، وربما صفق لها الكلُّ إلاكِ، وربما لم تعجب أحدًا سواكِ، لكنَّ كل هذا يضيع هباءً لمّا أعلمُ ألا أحد سيفهمها غيركِ، أمّا هذه فرسالة أخرى سيحتويها الدرج الأوسط في مكتبي حيث يسكن صندوقنا صاحب العامين إلا قليلًا، أما هذه فرسالة سيقرؤها الكلُّ ولا يعلمُ أحدهم من أقصد، ثم أضم كل هذه الأحرف إليكِ أنتِ وحدكِ في رسالةٍ ورقية، أما هذه فرسالة ثانية من ألف كلمة، وأعدكِ أن نكتب الرسالة الألفية الثالثة حينَ نكون معًا، تُمليني نصفها ثم أكتبها كلها، أو أحكي أنا بروح الحكّاء وتكتبينها أنتِ بقلمِ الحبِّ الذي تخبئينه، أنا أحبكِ والسلام.

يا جميلتي

يا جَميلتي

كيفَ حالكِ؟ كيفَ حال المضغة التي اعتدت أن أصفها كلما حادثتك؟ تلك التي تسكن خلف الأضلع ساكنة هادئة حتى أقول أني «أحبكِ» فتضطرب اضطراب من لا يُرجى سكونه؟

في الليلة السابقة سألت نفسي كثيرًا لمَ تشبه الضلوع السجنَ الانفرادي، يقبع خلفها القلب وحيدًا؟ لكنّي لم أجد إجابة قط، حين طالعت سيرة العجوز الذي هزمَ الزمنَ عرفت أن القلب وحيدٌ من يومِ ميلادنا حتى الرحيل، حتى حين نحبُّ يصبح قلبنا وقلب حبيبتنا قلبًا واحدًا وحيدًا خلف قضبان الضلوع هذه،

لم أشغل نفسي كثيرًا في تفسير ما قرأتُ، كل ما فعلته أني ضممتُ هذه الأسرار إلى ذاكرتي لأخبركِ بها كلها يومَ تعودين إليّ.

في أولِ ليلةٍ لفراقنا سرتُ طويلًا جدًا في صحراء لا منتهى لها، وتذكرتكِ، تذكرتُ كم مرة كتبتُ فيها عنكِ، كم مرة شبهتكِ فيها بقسوة الصحراء وجمال الليل والتماع النجوم، وأحسست أني في كلِّ مرةٍ فعلتُ فيها هذا أنّي قد ظلمتُكِ وأنَّكِ أكثر جمالًا وتوهجًا وحبًا من كل ما كتبت. أنا لستُ أديبًا كما تعلمين وكما أكرر، لكنَّني لا أحسن الكتابةَ حقًا إلا عنكِ. أشعر أحيانًا أنكِ قد سئمتِ كل ما كتبته لكِ، لكنَّني حين أعلم أنَّ الجميع يقرأ عداكِ أصاب بخيبةٍ جديدة.

الخيبات يا عزيزتي في حياتي قد كثرت، حتى علّقتُها في خيط طويلٍ من خذلان وجعلتها صوب عينيّ كلما نظرتُ إليها تذكرتكِ، وتذكرتُ كيف صنعتُ معكِ وكيف رددت

الصنيع إليّ لكنَّني لم أغضب، أعلمُ أنَّكِ تخبرين الجميع كم أنَّكِ قاسية، لكن هؤلاء الجميع حتى صويحباتك لا يعرفونكِ كما أعرفكِ أنا، لم يصلْ منهم أحد إلى أعمق نقطةٍ في قلبكِ كما فعلتُ أنا.

في المسيرِ الطويل في حياتنا أو حكاياتنا تقابلنا خيباتٌ أكبر، لكن لا أكبر من تلك التي تقابلنا من حبيباتنا، حين تعطي ظهركَ للحياة غير عابئ بما يسقط عليه من ضرباتٍ يكون الوجع أخف، والألم أهون، والأمل أقوى، لكن حين تعطي ظهرك للحياةِ تحمي حبيبتك منها ثم تغرس هي السكين فيه يكون الوجع ألعن، والألم أقوى، ويضحي الأمل شيئًا سخيفًا لا نعرف أهو حقيقيٌ أم بقيةٌ من حبالٍ اهترأتْ فلا جدوى منها؟ لكننا نقاتل ونصبر أكثر، لا أعلم لمَ لكن ربما لأننا كنا صادقين أو لأننا كنا حمقى.

يا عزيزتي.

حمحمة الخيول في هذا الصباح كانتْ عظيمة جدًا، لقد أحسّ بي أنّي محبٌّ فصار مختالًا أكثر، كنتُ أعلم أنّه عاشق مثلي، وأوقن أنه مفارق مثلي، وأدرك أنّه جريحٌ مثلي، لكنّه كان أقدر على الصمود منّي، وأقدر على القتال والحبّ والحياة. كان عظيمًا لأن جدي ذات يوم بعيد أخبره أنّه كذلك، كان قويًا لأنه ذات ليلةٍ محا فيها الظلام ضوء القمر أخبرتُه بالحربِ، صهل عاليًا وكان منتشيًا جدًا، كان عاشقًا لأنّ الليلة التي هربّ أجداده من سيل عظيم كان هناك شاهدًا عليهم.

كان معي، وكنت له، دومًا أحتمي به وأحميه، رآني ليلة أن فارقتْني، بكى معي، سهر معي وأغرقتني دموعه عليّ، لكنّه كان أقدر على الحياة منّي فمضى، وصرتُ أنا أسيرًا

لذكراكِ وحين نفضتُ عني نعاس الذكرى لم أجدكِ جواري، أيُّ قسوةٍ قد تكون أعظم من هذه؟

حينها عاتبتُ قلبي، أخبرته ألم تعاهدني أن ننساها معًا؟ فلمَ عدتَ لها ولذكراها وحبَّها؟ أخبرني أن مجنون ليلى قد عاتب قلبه قبلي بأبياتٍ حفظها الجميع ونسيتُها أنا، ولم يجد منه جوابًا قط، أخبرني أن أجددَ لكِ عهدًا قطعته منذ ليلة الغياب الأولِ، أنِّي أحبكِ وسأحارب لأجل عينيكِ حتى ينتهي كلُّ هذا الغياب وتعودي إليَّ، والسَّلام.

يا حبّة قلبي

يا حبّة قلبي

أنَا شاعرٌ لأنّ هذا قلبٌ أصيبَ في سويدائه تمامًا، كنّا سبعةَ صبية لا يجمعنا سوى مراعي الجمال وحبّ الجَمال، ولا نحبّ إلا صليلَ سيفٍ وشَدْوَ حادٍ حزين، لمّا شببنا عن الطوقِ صرنا كما كنّا قديمًا إلا أنّ جنيًّا ما وضع كنانته في أرضنا، ورمانا بأسهمٍ ذات ليلٍ حزين. عرفنَا حين عركنا الحيَاةَ أنَّ هذا الجنيّ هو الحبّ ذاته

صرنا فرسانًا بقلوبٍ مهزومة، ثمّ حين صباح لم تشرقْ شمسه قط صاح صائحٌ أن الحربَ سُعرتْ، كنّا سبعةَ فرسان بسبعةِ خيولٍ أتتْ من أبعد صحراء في أرضنا، وكنّا مختلفين متفقين كما كنّا دومًا، أمتطي أدهم ويتمطي فارسٌ عن

يميني أشهبَ وعن شمالي أبيضَ كقلب مؤمن، سحبنا سيوفنَا وكسرنا أغمدتها، كنّا حمقى نظنّ أن هذه شجاعة ولم نعلم أننا نفرق بين عشقين.

لمّا وضعتْ الحربُ أوزارها فقدنا اثنين منّا، ألفنا الفقد منذ ليلٍ قديم رحلتْ فيها السّماء التي كنّا نعرفها، ولم ننسَ قط أن نربط شرائط بيضاء حول سواعدنا بعدد من رحل، لم أحب الأبيض قط لكنّهم قالوا لي أن حِداد المقاتلين على الفرسان حربٌ وليس بكاء.

صرنا خمسة رجال، لا همّ لنا في الحياة إلا حرفٌ بغيض نضعه حيث شئنا وننزعه حيث شئنا، فصار الحب والحرب لعبتنا نفعل ما يحلو لنا حين يحلو لنا، ذات غارة مشئومة رحل منّا ثلاثة ولم يبقَ معي إلا فارسُ الفرس الأبيض.

صرنا نقيضين نتعاقب في الحرب والحرب كتعاقب الليل والنهار، وتعاقب الأدهم وفرسه

الأبيض، ذات ليلة قرر أن يرحل، نظرتُ في عينيه طويلًا راجيًا ألا تفعل لكنه هرب بعينيه ورحل.

كنتُ صادقًا جدًا فصرتُ شاعرًا جدًا، ولم أعلم أنّ أحدًا قد يسمع شعري غيري، لكن حداءك به أشعرني أنّك خلقت له، ستضعه كله في صدرك عسى ألا يضيع، إن أحببتَ يومًا ما ضعه في صدر حبيبتك، عله لا يضيع أبدًا، فهلّا وضعته في صدرك حتى لا يضيع أبدًا؟

يا أيها الحب

صباح الحبِّ يا أيُّها الحبُّ.

في الصبح الأخير كان جوادُ الفجر قد أبى أن يطلقَ حمحمتَه الحزينة إلا حين السّحر، بينه وبين الليل حكايا لا يفهمها أيُّ أحد، وبينه وبين السحّر أسرارٌ لا يعلمها أيُّ بشر، كلّ قوته التي تهد صفوف الأعداء في الحربِّ تصير حُزنًا يسيل في الليل.

كرمحٍ ألقاه ساعدٌ غاصب يشق الهواء نحو الكفار كان ينطلق، في كل مرةٍ تصدح فيها سنابكه شررًا كان ينتشي كرجلٍ يسير ليلقى حبيبته بعد غيابٍ طال، كان عَدْوه مميزًا، يعدو كأنّه شررٌ من لهبٍ، له ضبحٌ عظيم، وقدحٌ كأنه لألئ سقطت من حوريات الجنة.

له ولفارسه حكايةٌ عظمى، سوف نحكيها، أو تُحكى لنا، لكننا أبدًا لن نترك غبار التاريخ عليها، حين حاولتُ أن أثنيه عن جموحه بكى بصوتٍ مسموعٍ، عرفتُ أنَّه محبٌ مثلي، سقط لمرة وحيدةٍ في حبائل لم يكتب على أحدٍ الخروج منها قط.

أما أنا وأنت فقد اعتدنا الهرب، ألِفناه حتى صار جزءًا منّا وصرنا حكاية من حكاياه، نهرب من أنفسنا، من العالم، من الحياة، من الحبّ ذاته، تهربين منّي وأهربُ منكِ كأنّ صراعًا لا ينتهي أشعلته بيننا نجومُ السّماء، هربتْ معنا قصائد الحبِّ وروايات الشعرِ وخيول الحُلمِ الدهماء.

صرنا نهربُ من الحياة إلى الموتِ، ثمّ نهربُ من الموت إلى الحياة، صار كلّ شيءٍ قاتمًا بلون الثلج، وكلُ حكايةٍ صاخبةً بنغمات السكوت، وصار اللهيبُ باردًا كجسد أمٍ خلفته غارةٌ حمقاء.

ضاق بنا الكونُ فأضحت سماؤنا أرضًا ضيقةً لا تتسع للأحلام، وصارتْ حكاياتُنا غبيّة تفتقد لمعةُ عيون الأحفاد ونبرة صوتِ الجدِّ الرخيم، ثمّ صحونا لنتجمد من زمهرير ليالي الصيف وقيظ نهارات الربيع الباسم.

انقلبَ كلُّ شيءٍ إلا أنا وأنتِ فقط، كنّا هكذا وسنظل للأبد، ربما لأننا عاشقان أحمقان، أو لأن الكون يردد معنا لحنه الأعظم، أو لأن كتبَ الحبِّ حكمتْ أن نظل هكذا. لا شيءَ سيعود كما كان أبدًا، لا شيءَ حتى الموت! أنا مسكين وأحبكِ والسلام.

يا حبيبة

صباح الخيرِ يا حبيبة.

أنا اشتقتُ إليكِ وهذا يجعل هذه الرسالة أصدق ما كتبت وأعز ما قلت.

أنا أحبكِ والسّلام.

نـــــــم

بعد مائتي ليلةٍ من الانتصار في المعركة الأولى

للتواصل مع الكاتب

عمر جوبا

facebook.com/omar.juba.7503

goodreads.com/author/show/17827556

instagram.com/omar.juba.7503